

علماء السوء ... علماء الدنيا
صفتهم، وخطرهم، على الدين والدنيا

إعداد

الأمين الحاج محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة ...

العلماء هم ورثة الأنبياء، مصابيح الدجى، سرج الظلام، الموقعون عن الملك العلام، الذين قرنت شهادتهم بشهادة الله والملائكة الكرام "شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ"^(١)، أعلم الأمة بالحلال والحرام، الذين أوجب الله طاعتهم على الأمة "أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ"^(٢) وجعل إجماعهم في أي عصر من العصور حجة على الأمة.

هؤلاء هم علماء الآخرة.

أما الصنف الآخر وهم علماء الدنيا، وأحبار السوء، الذين يخالف عملهم قولهم، وسرهم علانيتهم، الذين يدعون الناس إلى الإسلام بالسنتهم وينفرونهم عنه بفعالهم، الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر وهم أول مقترفيه، الجبابرة المتكبرون الفجار، رؤيتهم قذى العيون وصحبتهم تقسي القلوب، لا أكثر الله من أمثالهم، ولا أطال في أعمارهم، موتهم رحمة، وحياتهم عذاب ونقمة، اتخذوا إلههم هواهم فأضلهم الله وأعمى أبصارهم.

أما بعد...

(١) سورة آل عمران: ١٨.

(٢) سورة النساء: ٥٩.

فهذا بحث عن صفات علماء السوء وخطرهم على العباد
والبلاد.

دفعني للكتابة عن ذلك ازدياد عددهم، وتفشي ضررهم،
وانخداع كثير من العامة بهم، فوجب نصح الأمة وتحذيرها من هذا
الشر المستطير، والداء المحقق الخطير.

والله أسأل أن يحفظ الأمة من شرهم، وأن يرد كيدهم في
نحرهم إنه ولي ذلك والقادر عليه.

اللهم إنا نسألك علماً نافعاً، وقلباً خاشعاً، ولساناً ذاكراً، ودعوة
مستجابة. ونعوذ بك اللهم من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ونفس لا
تشبع، وعين لا تدمع، ودعوة لا يستجاب لها، وصلى الله وسلم على
أخشى الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه والتابعين.

الفصل الأول

أبرز صفات علماء السوء

يتصف علماء السوء بصفات عديدة، ويمتازون بخصائص خسيصة كثيرة، نشير إلى أخطرهما، وننبه على أكثرها شيوعاً، فنقول وبالله التوفيق:

الأولى: كتمان العلم والحق

أولى تلك الصفات، وأخس تلك العلامات لعلماء الدنيا وأحبار السوء كتمان العلم وتزوير الحق، والتبديل والتحريف لأي القرآن، والتأويل الفاسد للأحاديث والآثار.

بهذا وصفهم رب العالمين، وفضحهم الرسول الكريم، وثرّب عليهم علماء الآخرة المتقون.

هذه السمة اقتدى بها الخلف من علماء السوء بشر سلف من أحبار اليهود الذين قال الله فيهم:

• "إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"^(١).

• "وَإِذَا خَلَا بِبَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ"^(٢).

(١) سورة البقرة: ١٧٤.

(٢) سورة البقرة: ٧٦.

• "قَوِيلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوِيلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ"^(١).

روى محمد بن إسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما: (أن يهوداً كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعثته، فلما بعثه الله من العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل، وبشر بن البراء بن معرور، وداود بن سلمة: يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم، ونحن أهل شرك، وتخبروننا بأنه مبعوث، وتصفونه بصفته! فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم، فأنزل الله في ذلك من قولهم: "وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ"^(٢)/^(٣).

لهذا استحقوا أن يلجموا بلجام من نار يوم القيامة كما حكم عليهم بذلك الرسول الكريم: "من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة"^(٤) فطالما سكتوا عن قول الحق وكتموا وزوروا ولبسوا على العامة فالجزاء من جنس العمل.

(١) سورة البقرة: ٧٩.

(٢) سورة البقرة: ٨٩.

(٣) عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، اختصار وتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ج ١/١٧٩.

(٤) قال محققا الآداب الشرعية ج ٢ هامش (١): (صحيح أخرجه أحمد ج ٣/٢٦٣، وأبو داود رقم [٣٦٥٨] والترمذي رقم [٢٦٤٩] وغيرهم).

وقد جاء في الأثر: "الساكت عن الحق شيطان أخرس" فقد شبه كاتم الحق بأخس خلق الله وأبعدهم من رحمته وهو الشيطان الأخرس.

كما أن معلم الخير يستغفر له كل شيء كما صح بذلك الخبر حتى الطير في الهواء، والحوت في الماء لتعدي نفع علمه، ولحث علماء الآخرة الناس على رعاية حقوق هذه الكائنات الحية، واتقاء الله فيها، فكاتم العلم يلعنه كل شيء حتى الحوت في البحر والطير في السماء وقد ورد في ذلك حديث لا يصح لفظه وإن صح معناه ورمز إليه السيوطي بالصحة ويغني عنه قوله تعالى "إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ...الآية" وهو: "كاتم العلم يلعنه كل شيء حتى الحوت في البحر والطير في السماء"^(١).

أسباب كتمان العلم ودوافعه

أسباب ودوافع كتمان العلم كثيرة ومتنوعة منها:

١. البخل.
٢. الحسد، كراهية أن ينال غيرهم من الوجاهة والرياسة ما نالوا.
٣. الخوف أن يحتج عليهم بما قالوا.
٤. الحرص على الرياسة والمناصب.
٥. التشاغل بالدنيا ولذاتها الفانية.
٦. التعصب والتقليد.

(١) الجامع الصغير للسيوطي رقم [٦١٩٧]، قال عنه المناوي في فيض القدير جـ٤/٥٤١: (وقضية صنيع المؤلف أن ابن الجوزي سكت عليه، والأمر بخلافه، فإنه تعقبه بقوله: حديث لا يصح فيه يحيى بن العلاء قال أحمد: كذاب يضع).

قال المناوي رحمه الله: (وقد تضافرت النصوص القرآنية على ذم كاتم العلم "إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ...الآية"، "وَإِذَا خَلَا بِعَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" فوصف المغضوب عليهم^(١) بأنهم يكتُمون العلم تارة بخلاً به، وتارة اعتياضاً عن إظهاره بالدنيا، وتارة خوفاً أن يحتج عليهم بما أظهروه منه، وهذا قد يبتلى به طوائف من المنتسبين للعلم، فإنه تارة يكتُمونه بخلاً به، وتارة كراهة أن ينال غيرهم من الفضل والتقدم والوجاهة ما نالوه، وتارة اعتياضاً برئاسة أومال، فيخاف من إظهاره انتقاص رتبته، وتارة يكون قد خالف غيره في مسألة أو اعترى^(٢) إلى طائفة قد خولفت في مسألة، فيكتم من العلم ما فيه حجة لمخالفه، وإن لم يتيقن أن مخالفه مبطل، وذلك كله مذموم وفاعله مطرود من منازل الأبرار، ومقامات الأخيار، مستوجب للعنة في هذه الدار ودار القرار)^(٣).

العلم الذي يحرم كتمانها ويجب نشره وبثه

لا شك أن العلم الذي يحرم كتمانها وورد فيه الوعيد السابق هو علم الشرع أو ما فيه مصلحة دنيوية راجحة، أما ما سوى ذلك فلا يشملها هذا الذم، وإن كان صاحبه مذموماً بين الناس، كأصحاب التخصصات والحرف بعضهم مع بعض، فإنهم يحبون من يجود عليهم بما يعلم ويبغضون ويذمون البخلاء الشحيحين بما يعرفون ويعلمون.

(١) هم اليهود ومن قلدهم أو يقلدهم في ذلك.

(٢) انتسب.

(٣) فيض القدير للمناوي ج٤/٥٤١.

قال ابن مفلح رحمه الله: (وقال ابن الجوزي في قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ" (١)).
وهذه الآية توجب إظهار علوم الدين منصوصة كانت أو مستتبطة، وتدل على امتناع جواز أخذ الأجرة على ذلك إذ غير جائز استحقاق الأجر على ما يجب فعله، كذا قال ابن الجوزي، وقد يستحق الأجر على ما يجب فعله كأداء الشهادة ونحو ذلك على خلاف مشهور فيه ثم ذكر ابن الجوزي ما في الصحيحين عن أبي هريرة أنه قال: (إنكم تقولون: أكثر أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله الموعود، وأيم الله لولا آية في كتاب الله ما حدثتُ بشيء أبداً ثم تلا: "إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا...الآية" إلى آخرها) (٢) (٣).

لا ينشر الدر على الخنازير، ولا يجاب على كل سؤال

لا يفهم من ذلك أنه يجب على العالم أن يبث علمه على كل من هب ودب، ولا أن يجيب على كل سؤال، فإن لكل مقام مقال، ولكل ناس حال، لا بد من مراعاة المصالح والمفاسد، والانتباه لغرض السائل، ونوع السؤال.

ذكر ابن مفلح عدداً من الآثار تحت على نشر العلم وبثه هي:

١. عن سلمان رضي الله عنه: (علم لا يقال به ككنز لا ينفق).

(١) سورة البقرة: ١٥٩.

(٢) متفق عليه. البخاري [١١٨] ومسلم [٢٤٩٢].

(٣) الآداب الشرعية لابن مفلح ج ٢/١٤٦ - ١٤٧.

٢. وقال الضحاك: (أول باب من العلم الصمت، ثم استماعه، ثم العمل به، ثم نشره).

٣. وقال الزهري: (إياكم وغلول الكتب) أي كتب العلم.

٤. وقال ابن المبارك: (إذا كتم العالم علمه ابتلي: إما بموت القلب، أو ينسى، أو يتبع السلطان).

٥. وقال ابن تيمية رحمه الله: (إن كاتم العلم يلعنه الله واللاعنون).

ثم أردف ذلك بقوله: (ومراد هؤلاء، إذا لم يكن عذر و غرض صحيح في كتمانهم والله أعلم).

إلى أن قال: ويشترط فهم المتعلم والسائل، ويسقط الغرض بذلك، على هذا يدل كلام إمامنا^(١) وأصحابنا، وهو مذهب الشافعي، واشترط الحنفية حفظه وضبطه أيضاً، لأنه افترض عليهم التعليم بقدر ما يحتاج إليه لإقامة فرائضه، ولا يتمكن إلا بالحفظ.

وقال مهننا: سألت أحمد، قال: قال يحيى بن سعيد: ربما جاءني من يستأهل فلا أحدثه، ويجيء من لا يستأهل أن أحدثه فأحدثه.

وعن أحمد أنه سئل عن شيء بعد ما ضرب، فقال: هذا زمان حديث؟ فقال له السائل: يا أبا عبد الله يحق لك أن تمنعني حقي وتمنع هذا حقه؟ لرجل آخر سأله عن شيء. فقال: وما حقكم؟ فقال: ميراث محمد، قال فسكت أبو عبد الله.

وعنه أيضاً: وقال له جماعة: نسألك عن مسألة. قال: قد قلت اليوم لا أجيب في مسألة، ولكن ترجعون فأجيبكم إن شاء الله تعالى.

(١) الإمام أحمد.

وقال الأثرم: أتينا أبا عبد الله في عشر الأضحى^(١)، فقال: قال أبو عوانة: كنا نأتي الجريري^(٢) في العشر فيقول: هذه أيام شغل وللناس حاجات، فابن آدم إلى الملل ما هو.

وقال محمد بن يحيى الكحال: قلت لأبي عبد الله كأي أردت أن أحته على الحديث، قال: ليس لهم إكرام للشيوخ.

وقال عبد الله^(٣) جاء رجل إلى بابنا، فقال لي أبي: اخرج إليه فقل له: لست أحدثك، ولا أحدث قوماً أنت فيهم. فقلت: ما شأنه يا أبت؟ قال: رأيتَه يمجن على باب عفان).

الثانية: حب الدنيا والتعلق بها

من سمات علماء السوء حب الدنيا والتعلق بها، والحرص على ملذاتها، ولهذا عرفوا بها فيقال لهم: علماء الدنيا في مقابل علماء الآخرة، فهم من أبنائها ومن رعاياها وكفى بذلك مذمة وسبة وذلك لأن الدنيا ضرة الآخرة فحب الدنيا لا يجتمع وحب الآخرة في قلب رجل واحد فالمرء إما أن يكون محباً للدنيا، أو محباً للآخرة إذ الجمع بينهما جمع بين متضادين.

حب الدنيا والتعلق بها رأس كل خطيئة ولهذا فإن كل الصفات الذميمة، والأخلاق السيئة، والسلوك المشين، الذي يوصف به علماء السوء مردها إلى حبهم للدنيا وتشبيثهم بها.

فالترفه الزائد والتنعم الفائق، ليس من سمات علماء الآخرة ولذلك نصح بعض الأخيار لمالك الإمام وخشي عليه بعض تعلقه

(١) عشرة ذي الحجة.

(٢) نسبة إلى مذهب الإمام محمد بن جرير الطبري.

(٣) ابن الإمام أحمد.

بشيء يسير من متاع الدنيا، لمكانته في العلم، ومنزلته في الدين، ولأن التشبث بالقليل من متاع الدنيا قد يقود إلى الانغماس فيها والاسترسال معها.

يحكى أن يحيى بن يزيد النوفلي كتب إلى مالك بن أنس رضي الله عنهما: (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على رسوله محمد من الأولين والآخرين، من يحيى بن يزيد إلى مالك بن أنس، أما بعد، فقد بلغني أنك تلبس الدقاق، وتأكل الرقاق، وتجلس على الوطيء، وتجعل على بابك حاجباً، وقد جلست مجلس العلم، وقد ضربت إليك المطي، وارتحل إليك الناس، واتخذوك إماماً ورضوا بقولك، فاتق الله تعالى يا مالك، وعليك بالتواضع. كتبت إليك مني بالنصيحة كتاباً ما اطلع عليه غير الله سبحانه وتعالى والسلام).

فكتب إليه مالك: (بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. من مالك بن أنس إلى يحيى بن يزيد سلام الله عليك. أما بعد: فقد وصل إليّ كتابك، فوقع مني موقع النصيحة، والشفقة والأدب. أمتعك الله بالتقوى، وجزاك بالنصيحة خيراً، وأسأل الله التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فأما ما ذكرت أني أكل الرقاق، وألبس الدقاق، واحتجب، وأجلس على الوطيء، فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى، فقد قال الله تعالى: "قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ" (١) وإني لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من كتابك، فلسنا ندعك من كتابنا والسلام) (٢).

(١) سورة الأعراف: ٣٢.

(٢) أحياء علوم الدين للغزالي كتاب العلم ج ١/٨٣.

رحم الله مالكاَ حيث لم يستتكف عن قبول النصيحة على الرغم من إمامته وتقدمه بالعلم بل اعترف أن ترك ما هو عليه أولى وأفضل مما هو عليه.

قال الغزالي رحمه الله معلقاً على رد مالك هذا على يحيى: (فانظر إلى إنصاف مالك إذ اعترف أن ترك ذلك خير من الدخول فيه، وأفتى أنه مباح، وقد صدق فيهما جميعاً، ومثل مالك في منصبه إذا سمحت نفسه بالإنصاف والاعتراف في مثل هذه النصيحة، فتقوى نفسه أيضاً على الوقوف على حدود المباح حتى لا يحمله ذلك على المراءاة والمداهنة والتجاوز إلى المكروهات. وأما غيره فلا يقدر عليه، فالتفريج على النفس بالمباح خطر عظيم وهو يبعد من الخوف والخشية وخاصة العلماء الخشية، وخاصة الخشية التباعد عن مكان الخطر)^(١).

لا شك أن السلامة ترك ما ليس به بأس خشية الوقوع فيما فيه بأس، فالتقل من المباحات حصن حصين من الوقوع في الشبهات والمحرمات، على العلماء الاقتداء والتأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام ومن سار على نهجهم من سلف هذه الأمة وسلوك طريقتهم في الحياة الدنيا.

قال يحيى بن معاذ^(٢) رحمه الله تعالى مبكراً على علماء الدنيا في زمانه: (يا أصحاب العلم قصوركم قيصرية، وبيوتكم كسروية، وأثوابكم طالوتية، وأخفافكم جالوتية، وأوانيكم فرعونية، ومراكبكم قارونية، وموائدكم جاهلية، ومذاهبكم شيطانية، فأين المحمدية؟!).

(١) المصدر السابق.

(٢) أبو جعفر الرازي، واعظ زاهد من أهل الري، مات بنيسابور ٢٥٨هـ.

رحم الله يحيى ما عساه قائلاً لو رأى طرائق وسلوك كثير من علماء زماننا؟!!

وقال الماوردي رحمه الله تعالى: (الدنيا دار مَرَضَى، إذ ليس في بطن الأرض إلا ميت، ولا على ظهرها إلا سقيم. ومرض القلوب أكثر من مرض الأبدان، والعلماء أطباء القلوب، وقد مرضوا في هذه العصور مرضاً شديداً، عجزوا عن علاجه، وصارت لهم أسوة في عموم المرض، حتى ظهر نقصانهم، فاضطروا إلى إغراء الخلق، وإرشادهم إلى ما يزيدهم مرضاً وهو حب الدنيا الذي تلبسوا به، لما لم يقدرُوا على التحذير منه حذراً أن يقال لهم ما بالكم تأمرون بالعلاج وتنسون أنفسكم؟ فلذلك عم الداء، وعظم الوباء، وانقطع الدواء، وهلك الخلق لفقد الأطباء.

بل اشتغل الأطباء بفنون الإغواء، فليتهم إذا لم يصلحوا لم يفسدوا، وليتهم سكتوا وما نطقوا، فإنه لا يهتمهم في مواعظهم إلا ما يزعق العوام، ويستميل قلوبهم من تسجيع الكلام، وتغليب أسباب الرجاء، وذكر دلائل الرحمة، لأن ذلك أذ في الأسماع، وأخف على الطباع، لينصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا مزيداً من الجرأة على المعاصي، ومتى كان الطبيب جاهلاً، أو خائناً يضع الدواء في غير موضعه، فالرجاء والخوف دواءان لكن لشخصين متضادي العلة).

وقال بعضهم: (علماء السوء ضربان، ضرب مكب على حطام الدنيا لا يسأم ولا يمل، قد أخذ بقلبه حبها، وألزمه خوف الفقر، فهو كالهمج يتقلب بالمزابل من عذرة إلى عذرة، ولا يتأذى بسوء رائحتها، وإكبابه عليها كإكباب الخنازير فمسخوا في صورة الخنازير).

قال الغزالي رحمه الله وهو يعدد سمات علماء الآخرة وبضدها تتميز الأشياء: (ومنها أن يكون غير مائل إلى الترفه في المطعم والمشرب، والتنعيم في الملبس، والتجمل في الأثاث والمسكن، بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك، ويتشبه فيه بالسلف رحمهم الله تعالى، ويميل إلى الاكتفاء بالأقل في جميع ذلك، وكلما زاد إلى طرف القلة ميله! ازداد من الله قربه وارتفع في علماء الآخرة حزبه.

ويشهد لذلك ما حكى عن أبي عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم - قال دخلت مع حاتم^(١) إلى الري ومعنا ثلاثمائة وعشرون رجلاً يريد الحج... فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فأضافنا تلك الليلة، فلما كان من الغد قال لحاتم: ألك حاجة؟ فإني أريد أن أزور فقيهاً لنا هو عليل؟ قال حاتم: عيادة المريض فيها فضل والنظر إلى الفقيه عبادة، وأنا أيضاً أجيء معك. وكان العليل محمد بن مقاتل - قاضي الري - فلما جئنا إلى الباب فإذا قصر مشرف حسن، فبقي حاتم متفكراً، يقول باب عالم على هذه الحالة؟ ثم أذن لهم فدخلوا، فإذا دار حسناء، فوراء، واسعة، نزهة، وإذا بزة وستور. ففقد الزائر عند رأسه وسأله عن حاله، وحاتم قائم، فأوماً إليه ابن مقاتل أن اجلس، فقال: لا أجلس، فقال: لعل لك حاجة؟ فقال: نعم، قال: وما هي؟ قال: مسألة أسألك عنها. قال: سل. قال: قم فاستو جالساً حتى أسألك عنها. قال حاتم: علمك هذا من أين أخذته؟ فقال: من الثقات، حدثوني به. قال: عمّن؟

(١) قال عنه الذهبي في السير جـ ١١/٤٨٤ - ٤٨٧: (الزاهد القدوة الرباني، أبو عبد الرحمن، حاتم بن عنوان ابن يوسف البلخي الواعظ الناطق بالحكمة الأصم، له كلام جليل في الزهد والمواعظ والحكم، كان يقال له: لقمان هذه الأمة توفي ٥٢٣٧هـ).

قال: عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن؟ قال: قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: ورسول الله صلى الله عليه وسلم عن؟ قال: عن جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل. قال حاتم: ففيما أداه جبريل عليه السلام عن الله عز وجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأداه رسول الله إلى أصحابه، وأصحابه إلى الثقات، وأداه الثقات إليك، هل سمعت فيه من كان في داره أشراف، وكانت سعتها أكثر كان له عند الله المنزلة الأكبر؟ قال: لا. قال: فكيف سمعت؟ قال: سمعت أنه من زهد في الدنيا، ورغب في الآخرة، وأحب المساكين، وقدم لآخرته كانت له عند الله المنزلة. فقال له حاتم: فأنت بمن اقتديت بألنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم والصالحين رحمهم الله أم بفرعون ونمرود أول من بنى بالجص والآجر؟ يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا، الراغب فيها فيقول: العالم على هذه الحالة أفلا أكون أنا شراً منه؟^(١).

الحسنة بين سيئتين

لا شك أن الحسنة بين سيئتين وخير الأمور أوسطها، فحرمان النفس مما أحل الله ليس من السنة، والاسترسال مع المباحات والاستزادة منها والاسترسال معها ومنافسة أهلها ليس من السنة كذلك. لكن التقلل منها والأخذ بقدر ما هو مطلوب قال تعالى: "وَلَا

(١) الاحياء للغزالي جـ ١/٨١ - ٨٢.

تَسَّ نَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا" (١) وهي حالة نبينا صلى الله عليه وسلم وهي الكفاف.

الثالثة: اتباع الهوى

اتباع ما تهواه النفس من المهلكات، ولهذا قال تعالى: "أرأيتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا" (٢).

بل جعل الله عز وجل اتباع الهوى السمة الأساسية والصفة الغالبة على علماء السوء فوصف بها قدوتهم وسلفهم الطالح حيث قال: "وَأَثَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ" (٣).

فينبغي للمسلم أن يكون هوامه تبعاً لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن لا يقدم هوامه على هوى رسوله سيما العلماء فقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هوامه تبعاً لما جنبت به" (٤).

(١) سورة القصص: ٧٧.

(٢) سورة الفرقان: ٤٣ — ٤٤.

(٣) سورة الأعراف: ١٧٥ — ١٧٧.

(٤) رواه النووي في الأربعين النووية عن عبد الله بن عمرو بن العاص وقال حديث حسن صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح. قال ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم ج ٢/ ٣٩٤: (تصحیح هذا الحديث بعيد جداً من وجوه) ثم سردها.

وهو مصداق قوله تعالى: "أَفَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا"^(١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (الهُوى إله يعبد من دون الله)، ثم تلى هذه الآية: "أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا".

قال القرطبي في تفسير آية الفرقان هذه: (وقيل: "اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ" أي أطاع هواه. وعن الحسن: لا يهوى شيئاً إلا اتبعه)^(٢).

المعنى بقوله تعالى: "وَإِثْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ"^(٣)

ذهب المفسرون في المعنى بذلك إلى أقوال هي^(٤):

١. أمية بن أبي الصلت الثقفي.

قال القرطبي هو المشهور.

وقال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم" وقال عنه كذلك: "آمن شعره ولم يؤمن قلبه" وروي عنه أنه قال: (أنا أعلم أن الحنيفية حق ولكن الشك يداخلني في محمد) وقال: (لا أؤمن برسول إلا من ثقيف) ويروى أنه كانت له الهامات ومكاشفات.

(١) سورة النساء: ٦٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج٣/١٣٦.

(٣) سورة الأعراف: ١٧٥.

(٤) انظر تفسير التحرير والتنوير والجامع لأحكام القرآن.

٢. وقيل المعني بذلك أبو عامر بن صيفي الراهب، فلقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفاسق.

٣. وقيل بلعم أو بلعام بن باعوراء قيل من الكنعانيين وقيل من بني إسرائيل.

والله أعلم بالمراد، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فكل من أضله الله على علم وأثر هواه على ما جاء به الرسل فهو مراد بذلك. والانسلاخ عن آيات الله قد يكون انسلاخاً كلياً، وقد يكون انسلاخاً جزئياً.

قال ابن القيم رحمه الله في تأويل قوله تعالى "وَأَثَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا...الآية": (فهذا مثل عالم السوء الذي يعمل بخلاف علمه).

وتأمل ما تضمنته هذه الآية من ذمه، وذلك من وجوه: أحدها: أنه ضل بعد علم، واختار الكفر على الإيمان عمداً لا جهلاً.

وثانيها: أنه فارق الإيمان مفارقة من لا يعود إليه أبداً فإنه انسلاخ من الآيات بالجملة كما تتسلخ الحية من قشرها ولو بقي معه منها شيء لم ينسلخ منها.

وثالثها: أن الشيطان أدركه ولحقه، بحيث ظفر به وافترسه، ولهذا قال "فَأَتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ" ولم يقل تبعه، فإن في معنى (أتبعه) أدركه ولحقه وهو أبلغ من تبعه لفظاً ومعنى.

ورابعها: أنه غوى بعد الرشده، والغى والضلال في العلم والقصد وهو أخص بفساد القصد والعمل، كما أن الضلال أخص بفساد العلم والاعتقاد، فإذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، وإن اقترنا فالفرق ما ذكر.

وخامسها: أنه سبحانه لم يشأ أن يرفعه بالعلم فكان سبب هلاكه، لأنه لم يرفع به فصار وبالاً عليه، فلو لم يكن عالماً كان خيراً له وأخف لعذابه.

وسادسها: أنه سبحانه أخبر عن خسة همته، أنه اختار الأسفل الأدنى على الأشرف الأعلى.

سابعها: أنه رغب عن هداه، واتبع هواه، فجعل هواه إماماً يقتدي به ويتبعه... الخ^(١).

الرابعة: الحرص على مداخلة الحكام والقرب منهم

"شر الأمراء أبعدهم من العلماء؛ وشر العلماء أقربهم من

الأمراء"

وردت أحاديث، وأثار، وحكم، ومقالات، تنهى عن مداخلة الحكام إلا أمثال عمر بن عبد العزيز ومن قاربه.

كان طائفة من علماء السلف يدخلون على الحكام، وكان الحكام يرغبون في دخولهم، وكانوا يقومون بواجب المناصحة والشفاعة الحسنة، ومع ذلك عابهم ولامهم طائفة من إخوانهم الأخيار الذين أخذوا بالعزيمة.

أما في زماننا هذا فكثير من الحكام لا يرغبون في عالم إلا ولا ذمة، بل رغبتهم في وزراء السوء، والمستشارين العلمانيين الخونة. القليل الذي يرغب في دخول العلماء عليه، لا يأخذون بأقوالهم، ولا يستمعون إلى نصائحهم وإرشاداتهم، وإنما يتركوا للقيام بالمسائل

(١) الفوائد لابن القيم الجوزية تحقيق خالد بن محمد بن عثمان الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ مكتبة الصفا ص ١٠٩-١١٠.

الشكلية، وللتبرير للتصرفات غير الشرعية وغير المرضية. فعدم الدخول على أمثال هؤلاء أفضل وأولى من الدخول عليهم. وإليك طرفاً من تلك الأحاديث، والآثار، والأقوال، والأشعار، التي تنهى وتحذر من الدخول على الحكام:

النهي والتحذير من الدخول على الحكام^(١)

١. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى السلطان افتنن"^(٢).

وعند البزار بزيادة: "... وما ازداد عبد من السلطان قريباً إلا ازداد من الله بعداً".

٢. وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتتكرون، فمن أنكر فقد برئ، ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع أبعد الله"، قيل: يا رسول الله! أفلا نقاتلهم؟ قال: "لا، ما صلوا"^(٣).

(١) انظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر تحقيق أبي الأشبال الزهيري ج ١/٦٣١ والصفحات التي تليها، والآداب الشرعية لابن مفلح تحقيق شعيب الأرنؤوط وعمر القيام ج ٣/٤٥٧ والصفحات التي تليها تحت فصل: انقباض العلماء المنقين من الأمراء والسلطين.

(٢) جامع بيان العلم رقم [١٠٨٩] وأبو داود رقم [٢٨٥٩] والترمذي رقم [٢٢٥٦] وصححه وحسنه محقق جامع بيان العلم وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم [١٨٥٩].

(٣) صحيح مسلم رقم [١٨٥٤] وأبو داود رقم [٤٧٦٠].

٣. وعن حذيفة رضي الله عنه قال: (إياكم ومواقف الفتن. قيل: وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله؟ قال: أبواب الأمراء، يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب، ويقول له ما ليس فيه)^(١).
٤. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (إن على أبواب السلاطين فتناً كمبارك الإبل، والذي نفسي بيده، لا تصيبون منهم شيئاً إلا أصابوا من دينكم مثله — أو قال: مثليه)^(٢).
٥. قال سفيان بن عيينة: قال أبو حازم: (وجدت الدنيا شيبين فتكلم بكلام طويل، ذكره ابن أبي خيثمة، قال سفيان: فقال الزهري: إنه جاري وما كنت أرى أن هذا عنده. فقال أبو حازم: لو كنت غنيا لعرفتني، إن العلماء كانوا يفرون من السلطان ويطلبهم، وإنهم اليوم يأتون أبواب السلطان والسلطان يفر منهم).
٦. وقال أبو قلابة لأيوب السخيتاني: (يا أيوب احفظ عني ثلاث خصال: إياك وأبواب السلطان، وإياك ومجالسة أصحاب الأهواء، والزم سوقك فإن الغنى من العافية)^(٣).
٧. قال ابن عون: (كان الرجل يفر بما عنده من الأمراء، فإذا أخذ لم يجد بدأ)^(٤).
٨. قال الفريابي: (سمعت سفيان الثوري يقول: كان خيار الناس، وأشرفهم، والمنظور إليهم في الدين الذين يقومون إلى هؤلاء فيأمرونهم — يعني الأمراء — وكان آخرون يلزمون بيوتهم،

(١) جامع بيان العلم رقم [١١٠٣] وقال محققه: صحيح.
(٢) أخرجه عبد الرزاق عن معمر جـ ٣١٧/١١ إلى قوله مثله، وابن عبد البر في جامع بيان العلم رقم [١١٠٤].
(٣) جامع بيان العلم رقم [١٠٩٤] وقال محققه: ضعيف.
(٤) جامع بيان العلم رقم [١٠٩٥] وقال محققه: ضعيف.

ليس عندهم ذلك، وكان لا ينتفع بهم ولا يذكرهم، ثم بقينا حتى صار الذين يأتونهم فيأمرهم شرار الناس، والذين لزموا بيوتهم خيار الناس^(١).

٩. وقال سعيد بن المسيب رحمه الله: (إذا رأيت العالم يغشى الأمراء فاحذروا منه فإنه لص).

١٠. وقال بعضهم — وقيل للأعمش: شر الأمراء أبعدهم عن العلماء، وشر العلماء أقربهم من الأمراء^(٢).

١١. وقال محمد بن سحنون: (كان لبعض أهل العلم أخ يأتي القاضي والوالي بالليل يسلم عليهما، فبلغه ذلك، فكتب إليه: أما بعد: (فإن الذي يراك بالنهار يراك بالليل، وهذا آخر كتاب أكتبه إليك).

قال محمد فقرأته على سحنون فأعجبه، وقال: ما أسمجه بالعالم إنه يؤتى إلى مجلسه، فلا يوجد فيه، فيسأل عنه فيقال: إنه عند الأمير^(٣).

١٢. وقال سحنون: (إذا أتى الرجل مجلس القاضي ثلاثة أيام متتالية بلا حاجة، فينبغي ألا تقبل شهادته)^(٤).

١٣. خرَّج أبو نُعيم في الحلية^(٥) بسنده قال: (خرج الحسن من عند ابن هبيرة، فإذا هو بالقراء على الباب، فقال: ما يجلسكم ها هنا؟ تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء، أما والله ما مجالستهم مجالسة الأبرار، تفرقوا فرق الله بين أرواحكم وأجسادكم، قد

(١) جامع بيان العلم رقم [١١٠٧] وقال محققه: صحيح.

(٢) جامع بيان العلم رقم [١١١٦] وقال محققه: صحيح.

(٣) جامع بيان العلم رقم [١١١٧].

(٤) جامع بيان العلم رقم [١١١٨].

(٥) ج ٢/١٥٠-١٥١.

فرطحتم^(١) نعالكم، وشمرتم ثيابكم، وجززتم شعوركم، فضحتم القراء فضحك الله، والله لو زهدتم فيما عندهم، لرغبوا فيما عندكم، ولكن رغبتم فيما عندهم، فزهدوا فيكم، أبعد الله من أبق).

كان الحسن يدخل عليهم ولكنه كان ناصحاً أميناً.

١٤. وقال مُهَنَّأ: (سألت أحمد عن إبراهيم بن موسى الهروي، فقال: رجل وسخ، فقلت: ما قولك إنه وسخ؟ قال: من يتبع القضاة والولاية فهو وسخ)^(٢).

١٥. ذكر العقيلي عبد الرحمن بن أبي ليلى في كتابه في الضعفاء، ولم يذكر فيه إلا قول إبراهيم النخعي: كان صاحب أمراء^(٣).

١٦. وقال سفيان الثوري رحمه الله: (إذا رأيت القاري يلوذ بالسلطان، فاعلم أنه لص، وإن لاذ بالأغنياء فمراءٍ، وإياك أن تتخدع، فيقال: لعلك ترد عن مظلمة، أو تدفع عن مظلوم، فإن هذه خدعة إبليس اتخذها فجار القراء^(٤) سلماً^(٥)).

١٧. وقال ابن الجوزي في كتاب (السر المصون): (أما السلاطين فإياك إياك ومعاشرتهم، فإنها تفسدك وتفسدهم، وتفسد من يقتدي بك، وسلامتك من مخالطتهم أبعد من العيُّوق^(٦)، وأقل الأحوال في ذلك أن تميل نفسك إلى حب الدنيا).

(١) كلما عرضته فقد فرطحته - سير أعلام النبلاء ج٤/٥٨٦.

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح ج٣/٤٥٨.

(٣) المصدر السابق.

(٤) العلماء.

(٥) المصدر السابق ص٤٦٣.

(٦) العيُّوق: كوكب أحمر مضيء بحال الثريا، في ناحية الشمال، ويطلع قبل الجوزاء سمي بذلك لأنه يعوق الدبران عن لقاء الثريا - لسان العرب مادة عوق.

قال المأمون العباسي: (لو كنت عامياً ما خالطت السلاطين)^(١).
١٨. وقال المروزي: (سمعت إسحاق بن إبراهيم ونحن
بالمعسكر يناشد أبا عبد الله ويسأله الدخول على الخليفة^(٢)) ليأمره
وبينهاه، وقال له: إنه يقبل مثل هذا إسحاق بن راهويه، يدخل على
ابن طاهر فيأمره وبينهاه.

فقال أبو عبد الله: تحتج عليّ بإسحاق، فأنا غير راضٍ بفعله، ما
له في رؤيتي خير، ولا لي في رؤيته خير. يجب عليّ إذا رأيته أن
أمره وأنهاه، الدنو منهم فتنة والجلوس معهم فتنة، نحن متباعدون
منهم ما أرانا نسلم، فكيف لو قربنا منهم؟^(٣).

١٩. وقال سعيد بن يعقوب^(٤): كتب إليّ أحمد بن حنبل: (بسم
الله الرحمن الرحيم من أحمد بن محمد إلى سعيد بن يعقوب سلام
عليك. أما بعد: فإن الدنيا داء والسلطان داء والعالم طيبب. فإذا
رأيت الطيبب يجر الداء إلى نفسه فاحذره والسلام عليكم).

٢٠. وقال المروزي: (وسمعت إسماعيل بن أخت ابن المبارك
ي ناظر أبا عبد الله، ويكلمه في الدخول على الخليفة، فقال له: أبو
عبد الله: قد قال خالك — يعني ابن المبارك —: لا تأتهم فإن أتيتهم
فأصدقهم، وأنا أخاف ألا أصدقهم)^(٥).

٢٠. وقال ابن الجوزي رحمه الله في (تلبيس إبليس)^(٦): (ومن
تلبس إبليس على الفقهاء مخالطتهم الأمراء والسلاطين، ومداهنتهم،

(١) الآداب الشرعية ج ٣/٤٦٥.

(٢) علماً بأن الخليفة المتوكل رحمه الله كان مجلاً لأحمد وقد رفع الفتنة.

(٣) الآداب الشرعية ج ٣/٤٦٤.

(٤) الطالقاني أبو بكر، محدث خراسان، قدم بغداد وذاكر ابن حنبل.

(٥) المصدر السابق.

(٦) ص ١٢١-١٢٢.

وترك الإنكار عليهم مع القدرة على ذلك، وربما رخصوا لهم في ما لا رخصة لهم فيه لينالوا من دنياهم عرضاً، فيقع بذلك الفساد لثلاثة أوجه:

الأول: الأمير، يقول: لولا أنني على صواب لأنكر عليّ الفقيه، وكيف لا أكون مصيباً وهو يأكل من مالي؟

الثاني: العامي، أن يقول: لا بأس بهذا الأمير، ولا بماله، ولا بأفعاله، فإن فلاناً الفقيه لا يبرح عنده.

الثالث: الفقيه، فإنه يفسد دينه بذلك.

وقد لبس إبليس عليهم في الدخول على السلطان فيقول: إنما تدخل لتشفع في مسلم، وينكشف هذا التلبس بأنه لو دخل غيره ليشفع لما أعجبه ذلك، وربما قدح في ذلك الشخص لتفرده بالسلطان. ومن تلبس إبليس عليه في أخذ أموالهم، فيقول: لك فيها حق.

إلى أن قال: وفي الجملة فالدخول على السلاطين خطر عظيم، لأن النية قد تحسن في أول الدخول، ثم تتغير بإكرامهم وإنعامهم، أو بالطمع فيهم، ولا يتماسك عن مداهنتهم، وترك الإنكار عليهم. وقد كان سفيان الثوري رحمه الله يقول: ما أخاف من إهانتهم لي، إنما أخاف من إكرامهم فيميل قلبي إليهم.

وقد كان علماء السلف يبعدون من الأمراء لما يظهر من جورهم فتطلبهم الأمراء لحاجتهم إليهم في الفتاوى والولايات، فنشأت أقوام قويت رغبتهم في الدنيا فتعلموا العلوم التي تصلح للأمراء، وحملوها إليهم لينالوا من دنياهم. ويدلك على أنهم قصدوا بالعلوم الأمراء أن الأمراء كانوا يميلون قديماً إلى سماع الحجج في الأصول فأظهر الناس علم الكلام.

ثم مال بعض الأمراء إلى المناظرة في الفقه فمال الناس إلى الجدل، ثم مال بعض الأمراء إلى المواعظ فمال خلق كثير من المتعلمين إليها، ولما كان جمهور العوام يميلون إلى القصص كثر القصاص وقل الفقهاء).

٢١. وقال ابن مفلح رحمه الله تحت فصل: انقباض العلماء المتقين من اتباع الأمراء والسلطين: (كان الإمام أحمد رحمه الله لا يأتي الخلفاء، ولا الولاة، والأمراء، ويمتنع من الكتابة إليهم، وينهى أصحابه عن ذلك مطلقاً. نقله عنه جماعة. وكلامه فيه مشهور...

وكان هذا رأي جماعة من السلف منهم: سويد بن غفلة، وطاوس، والنخعي، وأبو حازم الأعرج، والثوري، والفضيل بن عياض، وابن المبارك، وداود الطائي، وعبد الله بن إدريس، وبشر ابن الحارث الحافي. وخالفهم في ذلك جماعة من السلف منهم: عبد الرحمن بن أبي ليلى، والزهري، والأوزاعي وغيرهم.

إلى أن قال: والظاهر كراهته إن خيف منه الوقوع في محذور، وعدمها إن أمن^(١) ذلك، فإن عرى من المفسدة واقتترنت به المصلحة من تخويف^(٢) لهم، ووعظه إياهم، وقضاء حاجته كان مستحباً، وعلى هذه الأحوال ينزل كلام السلف وأفعالهم رضي الله عنهم، وهذا معنى كلام ابن البنا من أصحابنا، ذكره ابن عبد القوي في باب صلاة التطوع، فإنه قال: إنما المذكور بالذم من خالطهم فسعى بمسلم، أو أقر، أو ساعد على منكر، فيجب حمل أحاديث التغليب فيه على ما ذكرنا جمعاً بين الأدلة.

(١) أنى له الأمان في هذا العصر؟

(٢) على العكس والنقيض في هذا العصر فإن الحاكم ومن يليه هو الذي يخوف العلماء ويتهدهم.

وأما السلطان العادل، فالدخول عليه ومساعدته على عدله من أجل القرب، فقد كان عروة بن الزبير وابن شهاب وطبقتهما من خيار العلماء يصحبون عمر بن عبد العزيز، وكان الشعبي وقبيصة ابن ذؤيب، والحسن، وأبو الزناد، ومالك، والأوزاعي، والشافعي، وغيرهم رحمهم الله يدخلون على السلطان. وعلى كل حال فالسلامة الانقطاع عنهم كما اختاره أحمد وكثير من العلماء.

قال ابن البناء: لا يغتر من هو داخل في العبادة بما ورد في التغليب على العلماء بما يراه من فعلهم الذي ربما خفي عليه وجه حله وتأويله، فيترك مجالسة العلماء ويهجرهم، فيفضي به حاله إلى استمرار جهله، ولعله يفضي به ألا تصح عبادته لعارض لا يعلمه. فإذا بدا لك من عالم زلة، فاسأله عن حكم من فعل كذا، فإن كان له عذر أبداه، فتخلصت من إثم غيبتك، أو خطر الاقتداء به. وإن كان مخطئاً عرف الحق على نفسه، وعرف مغزى كلامك وأنك تنكر عليه^(١).

٢٣. لما ولي إسماعيل بن عُلَيَّة العُشور، وقبل الصدقات، وكتب لابن المبارك يستمده برجال من القراء، كتب إليه ابن المبارك هذه الأبيات:

يا جاعل العلم له بازيماً	يصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها	بحيلة تذهب بالدين
أين رواياتك فيما مضى	عن ابن عون وابن سيرين؟
ودرسك العلم بآثاره	وتركك أبواب السلاطين
تقول: أكرهتُ فما حيلتي	زل حمار العلم في الطين

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح ج٣/٤٥٧-٤٦٠.

لا تتبع الدين بدنيا كما يفعل ضلال الرهابيين^(١)

٢٤. وقال ابن المبارك كذلك:

رأيت الذنوب تميت القلوب
وترك الذنوب حياة القلوب
وهل بدل الدين إلا الملوك
وباعوا النفوس فلم يربحوا
لقد رتع القوم في جيفة
ويورث الذل إيمانها
وخير لنفسك عصيانها
وأحبار سوء ورهبانها
ولم يغل في البيع أثمانها
يبين لذي الفضل أثنائها^(٢)

خسائر دينية محققة، ومصالح دنيوية فانية مشتركة بين العلماء

والمدخول عليهم من الحكام

دخول العلماء على الحكام غير العدول فيه من المضار الدينية
والدنيوية ما الله به عليم، على العلماء والحكام، وإن كان نصيب
العلماء في الخسائر الدينية أكبر.

ويشتد الكرب ويعظم الأمر إذا كان هؤلاء الداخلون من أهل
الأهواء.

من النماذج السيئة لهذه العلاقة المشبوهة ما قام به بعض أئمة
البدعة؛ أحمد بن أبي دؤاد وبشر المريسي عليهما من الله ما
يستحقانه، من إزاحة بعض خلفاء بني العباس: المأمون، والمعتصم،
والواثق — عن المنهج الحق، منهج أهل السنة والجماعة إلى بدعة
الاعتزال، وإثارة فتنة خلق القرآن، التي امتحنوا بسببها جلة علماء

(١) جامع بيان العلم رقم [١٠٩٨].

(٢) جامع بيان العلم رقم [١٠٩٨].

أهل السنة، فمنهم من قُتل، ومنهم من عُذب وسُجن وضُرب،
ومنهم من ضيَّق عليه.

فمن المصائب العظام، والطوام الجسام، احتضان بعض الحكام
لأهل البدع وتبنيهم لما يعتقدون.

كما قال بعض السلف: ما يناله هؤلاء الداخلون على الحكام من
متاع الدنيا الفاني لا يساوى ما يفقدونه من دينهم، وعلمهم، وثقة
العامّة بهم.

نماذج لبعض الخسائر الدينية الفادحة الناتجة من دخول بعض

العلماء على الحكام

الخسائر كثيرة ومتنوعة، ولكن نشير إلى بعضها للاستدلال
على غيرها، من ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر:
أ. الانبراء للدفاع والمحاماة عن بعض الحكام الذين نبذوا كتاب
الله وشرع محمد صلى الله عليه وسلم وراءهم ظهرياً، واستبدلوا
الذي هو أدنى – الدساتير والقوانين الوضعية – بالذي هو خير،
الأحكام الشرعية وابتكروا من الشبه للمجادلة عن ذلك ما لا يخطر
ببال نحو:

الحاكم بالدستور والقانون الوضعي لا يكفر إلا إذا اعتقد ذلك
بقلمه!!

ونحو أنه لا يكفر وإن رد حكم الله وحكم بما سواه اللهم إلا إذا
نسب ذلك إلى الله عز وجل!!

ب. استصدار الفتاوى الموجهة.

ج. تبرير بعض الممارسات التي تقضي على عقيدة الولاء والبراء كلياً نحو تجويزهم للحكام أن يخذلوا بعض إخوانهم المسلمين ويسلموهم للكفار لقتلهم أو سجنهم وتعذيبهم.
د. السعي في التشكيك في كثير من المسلمات نحو:
• كفر اليهود والنصارى.
• مساواة الدين الحق بالأديان المنسوخة المبدلة.
• عقد المؤتمرات والندوات للتقريب بين الأديان، وبين أهل الأهواء.

هـ. التقليل من خطورة موالاتة الكفار والمشركين ومعاداة المسلمين.

و. السعي لإيجاد دين جديد بديل للدين الذي جاء به خاتم الأنبياء والرسل أجمعين.

هذا قليل من كثير، وغيض من فيض كله ناتج من مداخلة كثير من العلماء للحكام من المفسد والخسائر الدينية التي لا تساويها ولا تقاربها المصالح الدنيوية المشتركة التي أهمها:

للحكام

- أ. تزيين صورتهم وتحسينها لدى الرعية ولو إلى حين.
- ب. تخدير الشعوب وإشغالها عن قضاياها الأساسية.
- ج. تثبيت ملكهم ولو إلى حين.

للداخلين من العلماء

- أ. إغداق الأموال والعطايا عليهم.
- ب. تقليد الوظائف الدستورية وغيرها.
- ج. حمايتهم.

د. فتح وسائل الإعلام لهم.

الخامسة: منافقة المجتمع

منافقة المجتمع لا تقل خطراً، ولا تنقص ضرراً من منافقة بعض العلماء للحكام ومجاراتهم لهم فيما يشتهون.

فعلماء السلطان ينافقون الحكام ويبررون لهم ما يريدون، وكذلك علماء الدنيا ينافقون المجتمع، ويسعون لإرضائهم وكسبهم بالتنازلات، وبالبحث والتفتيش عن الزلات والسقطات، حتى يلبوا رغبات مجتمعهم وينالوا رضاه.

يحدث ذلك بطرق عديدة وأساليب متنوعة وسنضرب لذلك بعض النماذج، من ذلك:

أ. منافقة المجتمع بتحليل كثير مما حرمه الله عز وجل من ذلك:

• تحليل الأغاني والموسيقى، بل بلغت الجرأة ببعضهم أن عد ذلك من أسباب دخول الجنة.

ومنهم من زعم أن الغناء لا يحرم إلا إذا سكر الفنان ولبس حريراً وغنى!!!

• تحليل التمثيل والمسرح والسينما، بل منهم من لبس على بعض التائبات من التمثيل وحال بينهن وبين التوبة من ذلك.

• تحليل التصوير والتوسع فيه من غير ضرورة.

• إجازة اختلاط النساء بالرجال إذا كان مأمون العواقب — كما يزعمون — رداً لقوله صلى الله عليه وسلم: "ما اجتمع رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما" الحديث.

ب. دغدغة مشاعر المسلمين وتخديرهم لينسوا قضاياهم الأساسية نحو:

- تحرير الديار المغتصبة.
- تعلم الشرع والتفقه فيه.
- إصلاح العقائد والأخلاق.
- الاحتساب.
- ويشغلوا ببعض النوافل نحو:
- قصص الأنبياء: مع مخالفتهم لمنهج الأنبياء في العقيدة والسلوك.

• دراسة السيرة: مع مخالفتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في هديه وسمته.

- حياة الصحابة: مع عدم الاقتداء والتأسي بهم.
- ج. رفع شعار الوسطية الذي يعني التلفيق بين ما جاء به الإسلام وبين ما أفرزته الحضارة المادية الكافرة.

فأي وسطية هذه التي تخلق من:

- تحكيم شرع الله.
 - نبذ عقيدة الولاء والبراء.
 - يتنازل فيها عن جل عرى الإسلام؟
- إذ الغرض من جميع هذه الوسائل منافقة المجتمع، ودغدغة مشاعره حتى لا يلتفت إلى الوظيفة التي من أجلها خلق.

السادسة: يبيعون آخرتهم بدنياهم، وفي أحيان كثيرة بدنيا غيرهم من العلامات المميزة لعلماء السوء أنهم يبيعون آخرتهم بدنياهم، وفي أحيان آخر بدنيا غيرهم ممن يدخلون عليهم من الحكام، وممن

ينافقون من المجتمعات والأفراد، شعروا بذلك أم لم يشعروا، وذلك أن حرصهم على قربهم من الحكام وسعيهم لإرضاء الخلق وإن أدى ذلك إلى سخط الرب يحتم عليهم بيع آخرتهم سواء كان لمصلحتهم الآنية الفانية، أو لمصلحة من يدخلون وينافقون ويجاملون.

يُصَدِّقُ ذَلِكَ وَيُؤَكِّدُهُ مَا يَأْتِي:

١. ما روي عن جابر رضي الله عنه يرفعه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم: "من أَرْضَى سلطاناً بما يسخط ربه خرج من دين الله" (١).

٢. وعن عائشة رضي الله عنها ترفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أَرْضَى الناس بسخط الله، وكَلَّه الله إلى الناس، ومن أسخط الناس برضا الله كفاه الله مؤنة الناس" (٢).

٣. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (إن الرجل يدخل على السلطان ومعه دينه، فيخرج وما معه دينه. قيل: كيف؟ قال: يرضيه بما يسخط الله) (٣).

ولله در القائل:

عجبتُ لمبتاع الضلالة بالهدى وللمشتري دنياه بالدين أعجب
وأعجب من هذين من باع دينه بدنيا سواه فهو من هذين أعجب

(١) رواه السيوطي في الجامع الصغير رقم [٨٣٩٣] ورمز له بالحسن. قال المناوي في فيض القدير جـ ١/٥١: (رواه الحاكم في الأحكام قال الذهبي تبعاً للحاكم: تفرد به علاق عن جابر والرواة إليه ثقات).

(٢) رواه السيوطي في الجامع الصغير رقم [٨٣٩٥] ورمز له بالحسن. قال المناوي في فيض القدير جـ ١/٥١: (ت واخل عن عائشة، ورواه عنها أيضاً الديلمي والعسكري).

(٣) الحاكم في الأحكام.

لو لم يكن لعلماء السوء إلا هذه البلية لكفاهم خزيًا وندامة فالآخرة هي الحيوان، أي الحياة الأبدية السرمدية "وإنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ"^(١) وقد ذم الله عز وجل الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة وبين أن الآخرة هي خير وأبقى من الدنيا الفانية الزائلة فقال: "قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى * بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى"^(٢).

فالله سبحانه وتعالى إذا أحب عبداً وضع له القبول عند أهل السماوات وأهل الأرض، وإذا سخط على العبد أسخط عليه جميع خلقه.

فالأخلاء يوم القيامة بعضهم لبعض عدو إلا المتقين، فما كان لله دام واتصل، وما كان لغيره انقطع وانفصل في الدنيا قبل الآخرة.

السابعة: البحث والتفتيش عن الزلات والهفوات

من علامات علماء الدنيا حرصهم على البحث والتفتيش والتتقيب عن السقطات والزلات التي تصدر عن بعض أهل العلم ومعلوم ضرورة أن لكل جواد كبوة ولكل عالم هفوة، فالكمال لله ولرسله المعصومين.

بل بعض هؤلاء لا يعرفون عن بعض الأئمة الكبار، أمثال، أبي حنيفة، وابن جرير، وابن حزم وغيرهم من القدماء والمحدثين إلا الزلات والسقطات ولا يابهون بأقوالهم الأخرى التي وافقوا فيها الدليل وجماعة العلماء.

(١) سورة العنكبوت: ٦٤.

(٢) سورة الأعلى: ١٤-١٩.

ولهذا ليس لهؤلاء من مثل إلا الذباب الذي لا يقع إلا على العذرة والنجاسات، وإلا المكنسة – أكرم الله القارين – التي لا تلتقط إلا الأوساخ.

ومن رحمة الله بهذه الأمة أن الله لم يتعبد لها باختلاف العلماء، ولم يأمرها أن تقلد أحداً من الخلق وتتبعه في كل ما يقول سوى الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولهذا حذر العلماء من الأخذ بالأقوال الشاذة والزلات والسقطات ورحم الله من قال لابن عباس رضي الله عنهما: قولك مع العامة أحب إلينا مما انفردت به.

وهذه السمة من أبرز سمات علماء الدنيا سيما أهل الأهواء منهم، فإذا عثروا على زلة لعالم ضربوا حولها الطبول، وسوقوا لها تسويقاً واسعاً.

فالبعض لا يعرف عن الإمام الكبير ابن حزم رحمه الله مثلاً شيئاً سوى أنه أباح الملاهي لموافقة ذلك لهواه، وابن حزم أخطأ في زعمه أنه لم يثبت لديه في ذلك دليل، وقال: إنه لو ثبت لديه في حرماتها دليل لذهب إليه وهو صادق وخطؤه مغفور إن شاء الله.

أما الذين يقلدونه وغيره بعد رد أهل العلم المقتدى بهم على الذين أجازوا ذلك مأزورون بل متحملون لأوزارهم وأوزار من ضللوهم ولَبَّسُوا عليهم.

موقف المسلم من هذه الزلات والسقطات

ينبغي أن يكون موقف المسلم من هذه الزلات ما يأتي:

١. عدم إذاعتها وبنثها ونشرها بين الناس بل يجب سترها.
٢. عدم تقليدهم فيها.

٣. هذه الزلازل لا تغض من مكانة أولئك العلماء.
٤. لا ينبغي أن تحول بينه وبين ما أثر عنهم من علم وافقوا فيه
عامة المسلمين.

ورحم الله الخليل بن أحمد عندما قال:

اعمل بعلمي وإن قصرت في عملي ينفك علمي ولا يضررك تقصيري

من تتبع رخص العلماء وزلاتهم تزندق، أو كاد، وتجمع فيه

الشر كله

لخطورة تتبع الرخص والزلازل حذر منها الشارع وحذر منها
سلف هذه الأمة وخلفها، من ذلك:

١. ما روي عن عمرو بن عوف المزني يرفعه: "إني أخاف
على أمتي بعدي أعمالاً ثلاثة" قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: "
أخاف عليهم من زلة العالم، ومن حكم جائر، ومن هوى متبع"^(١).

٢. وروي عن عمر رضي الله عنه: (ثلاث يهدمن الدين: زلة
العالم، وجدال منافق بالقرآن، وأئمة مضلون)^(٢).

٣. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (إن مما أخشى
عليكم: زلة العالم، وجدال منافق بالقرآن، والقرآن حق، وعلى
القرآن منار كأعلام الطريق)^(٣).

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم رقم [١٨٦٥] وقال محققه: إسناده
ضعيف.

(٢) المصدر السابق رقم [١٨٦٧] وقال محققه: صحيح الإسناد.

(٣) المصدر السابق رقم [١٨٦٨] وقال محققه: رجال إسناده ثقات.

٤. عن ابن عجلان، عن ابن شهاب أن معاذ بن جبل كان يقول في مجلسه كل يوم، قل ما يخطئه أن يقول ذلك:

(الله حكم قسط، هلك المرتابون، إن وراءكم فتناً يكثر فيها المال، ويفتح فيه القرآن، حتى يقرأه المؤمن والمنافق، والمرأة والصبي، والأسود والأحمر، فيوشك أحدكم أن يقول: قرأت القرآن فما أظن أن تتبعوني حتى أبتدع لكم غيره، فإياكم وما أبتدع، فإن كل بدعة ضلالة، وإياك وزيغة الحكيم، فإن الشيطان يتكلم على لسان الحكيم بكلمة الضلالة، وإن المنافق قد يقول كلمة الحق، فتلقوا الحق عن جاء به، فإن على الحق نوراً، قالوا: وكيف زيغة الحكيم؟ قال: هي الكلمة تروعكم وتكرونها وتقولون: ما هذه؟ فاحذروا زيغته، ولا يصدنكم عنه، فإنه يوشك أن يفيء، وأن يراجع الحق، وإن العلم والإيمان مكانهما إلى يوم القيامة، فمن ابتغاهما وجدتهما^(١)).

٥. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (ويل للأتباع من عثرات العالم. قيل: كيف ذلك؟ قال: يقول العالم شيئاً برأيه، ثم يجد من هو أعلم برسول الله صلى الله عليه وسلم منه فيترك قوله ذلك، ثم يمضي الأتباع).

٦. قال سليمان التيمي^(٢): (من تتبع رخص العلماء وزلاتهم تزندق أو كاد وتجمع فيه الشر كله)^(٣) أو كما قال. فالحذر من اتباع الزلات والأخذ بالأقوال الشاذة.

(١) المصدر السابق رقم [١٨٧١] وقال محققه: صحيح.
(٢) قال عنه الذهبي في السير جـ ٧/٤٢٥: (الإمام المفتي الحافظ أبو محمد المتوفى ١٧٢هـ).
(٣) جامع بيان العلم رقم [١٨٦٦] وقال محققه: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

قال عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله: (لا يكون إماماً في العلم من أخذ بالشاذ من العلم، ولا يكون إماماً في العلم من روى عن كل أحد، ولا يكون إماماً في العلم من روى كل ما سمع).^(١) وتذكر أخي الكريم أن هذا العلم دين فعليك أن تتظر ممن تتلقى دينك.

قال الشاطبي رحمه الله: (زلة العالم لا يصح اعتمادها من جهة ولا الأخذ بها تقليداً له، وذلك لأنها موضوعة على المخالفة للشرع ولذلك عدت زلة وإلا فلو كانت معتمداً بها لم يجعل لها هذه الرتبة، ولا نسب إلى صاحبها الزلل فيها، كما أنه لا ينبغي أن ينسب صاحبها إلى التقصير، ولا أن يشنع عليه بها، ولا ينتقص من أجلها، أو يعتقد فيه الإقدام على المخالفة بحتاً، فهذا كله خلاف ما تقتضي رتبته في الدين...)

وقد روي عن ابن المبارك، أنه قال: (كنا في الكوفة فناظروني في ذلك - يعني النبيذ المختلف فيه^(٢) - فقلت لهم: تعالوا فليحتج المحتج منكم عن شاء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرخصة، فإن لم يتبين له الرد عن ذلك الرجل بشدة^(٣) صحت عنه، فاحتجوا فما جاءوا عن واحد برخصة إلا جئناهم بشدة، فلما لم يبق في يد أحد منهم إلا عبد الله بن مسعود، وليس احتجاجهم عنه في رخصة النبيذ بشيء يصح عنه.

(١) المصدر السابق وإسناده صحيح.

(٢) المصنوع من غير العنب، وهذا خلاف لا يعتد به مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل مسكر خمر، وما أسكر كثيره، فقليله الحرام، والخمر ما خامر العقل" أو ما معناه فماذا بعد الحق إلا الزلل؟

(٣) أي بالعزيمة المقابلة للرخصة.

قال ابن المبارك، فقلت للمحتج عنه في الرخصة: يا أحمق! عد ابن مسعود، لو كان هاهنا جالساً، فقال: هو لك حلال، وما وصفنا عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الشدة، كان ينبغي لك أن تحذر، أو تحير، أو تخشى.

فقال قائلهم: يا أبا عبد الرحمن: فالنخعي، والشعبي وسمى عدة معهما كانوا يشربون الحرام؟ فقلت لهم: دعوا عند الاحتجاج تسمية الرجال، فرب رجل في الإسلام مناقبه كذا وكذا، وعسى أن يكون منه زلة، أفلاحد أن يحتج به؟ فإن أبيتم، فما قولكم في عطاء، وطاوس، وجابر بن زيد، وسعيد ابن جبير، وعكرمة؟ قالوا: كانوا خياراً. قال: فقلت: فما قولكم في الدرهم بالدرهمين يداً بيد؟ فقالوا: حرام. قال ابن المبارك: إن هؤلاء رأوه حلالاً فماتوا وهم يأكلون الحرام؟! فبقوا وانقطعت حجتهم).

هذا ما حكي.

والحق ما قال ابن المبارك، فإن الله تعالى قال: "فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ"^(١) فإذا كان بيناً ظاهراً أن قول القائل مخالف للقرآن والسنة، لم يصح الاعتداد به ولا البناء عليه، ولأجل هذا ينقض قضاء القاضي إذا خالف الرأي أو الإجماع، مع أن حكمه مبني على الظواهر، مع امكان خلاف الظاهر، ولا ينقض مع الخطأ في الاجتهاد وإن تبين، لأن مصلحة نصب الحاكم تتناقض نقض حكمه. ولكنه ينتقض مع مخالفة الأدلة، لأنه حكم بغير ما أنزل الله.

ثم قال عن الزلة: (إنه لا يصح اعتمادها خلافاً في المسائل الشرعية، لأنها لم تصدر في الحقيقة عن اجتهاد، ولا هي من مسائل

(١) سورة النساء: ٥٩.

الاجتهاد، وإن حصل من صاحبها اجتهاد، فهو لم يصادف فيها محلاً، فصارت في نسبتها إلى الشرع كأقوال غير المجتهد. وإنما يعد في الخلاف الأقوال الصادرة عن أدلة معتبرة في الشريعة، كانت مما يقوى أن يضعف. وأما إن صدرت عن مجرد خفاء الدليل، أو عدم مصادفته فلا. فكذلك قيل: إنه لا يصح الاعتداد بها في الخلاف، كما لم يعتد السلف الصالح بالاختلاف في مسألة ربا الفضل، والمتعة^(١)، ومحاشي^(٢) النساء وأشباهاها من المسائل التي خفيت فيها الأدلة على من خالف فيها^(٣).

الثامنة: الفتوى بالتشهي

الفتوى بالتشهي من سمات علماء السوء وهي قرينة تتبع الرخص والزلات، ويسعى إليها المتزلفون من المنتسبين إلى العلم لنيل رضا الحكام وأهل الدنيا.

وهي من أخطر الطرق وأجلاها لبيع أحدهم آخرته بدنيا غيره. على العكس والنقيض سلوك علماء الآخرة مع الحكام وأهل الدنيا فإنهم كانوا يفتونهم بالعزائم وإن خالف ما عليه مشهور مذهبهم.

من ذلك ما روي أن عالماً أفتى أميراً عليه كفارة عظمى بصيام شهرين متتابعين. وقيل له: لمَ لم تفته بأن يعتق رقبة؟! فقال: عتق رقبة لا يزجره بل بإمكانه عتق عشرات الرقاب، ولكن صوم

(١) المتعة بالعمرة في أشهر الحج لمن منعها، أو المتعة التي هي أخت الزنا.
(٢) المراد اتیان المرأة في دبرها فهو حرام.
(٣) الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبي المتوفى ٧٩٠هـ ج٤/١٧٠-١٧٢.

شهرين متتابعين يكون زاجراً له من التهاون والتلاعب بحرمان الله
علماً بأن الإطعام في مذهب هذا المفتي والمستفتي وهو من مذهب
مالك أولى.

ليس للمقلد أن يتخير من أقوال المجتهدين بالتشهي بل
بالترجيح^(١)

ذكر الإمام الشاطبي رحمه الله في كتابه (الموافقات) بحثاً نفيساً
تحت عنوان: (ليس للمقلد أن يتخير من أقوال المجتهدين بالتشهي
بل بالترجيح) أصل فيه لقواعد أساسية في غاية الأهمية نشير إلى
طرف منها:

١. الشريعة كلها ترجع إلى قول واحد في فروعها وإن كثر
الخلاف، كما أنها في أصولها كذلك، ولا يصلح فيها غير ذلك.
ودل على ذلك قوله تعالى: "أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ
عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا"^(٢) وبقوله: "فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي
شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ"^(٣).

وقد علم بذلك أن الحق عند الله عز وجل في الأصول والفروع
واحد وأن كل مجتهد مأجور وليس مصيباً إن كان من أهل الاجتهاد
الحق وليس من الأدعياء.

٢. أنه ليس للمقلد أن يتخير من أقوال المجتهدين بالتشهي بل
بالترجيح.

(١) المصدر السابق جـ ١١٩/٤ والصفحات التي تليها.

(٢) سورة النساء: ٨٢.

(٣) سورة النساء: ٥٩.

ورد الشبه التي يثيرها البعض نحو الحديث المنسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يصح عنه: "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم".

وبما صح عن القاسم بن محمد، وعمر بن عبد العزيز أنهما قالوا فيما معناه: (ما يسرنا أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يختلفوا).

بأن مرادهما من ذلك أن اختلاف الصحابة كان فيه إثراء لعملية الاجتهاد وليس مرادهما مدح الخلاف ولو في الفروع وبين أن ذلك يفضي حسب فهمهم إلى:

٣. تتبع رخص المذاهب من غير استناد إلى دليل شرعي، وقد حكي عن ابن حزم الإجماع على أن ذلك فسق لا يحل.

٤. يؤدي ذلك أيضاً إلى إسقاط التكليف في كل مسألة مختلف فيها.

إلى أن قال: وقد أدى إغفال هذا الأصل إلى أن صار كثير من مقلدة الفقهاء يفتي قريبه، أو صديقه بما لا يفتي به غيره من الأقوال اتباعاً لغرضه وشهوته، أو لغرض ذلك القريب وذلك الصديق. ثم مثّل لذلك الحكم بالتشهي والهوى:

نماذج للحكم بالتشهي

١. حكي عياض في (المدارك)، قال موسى بن معاوية: كنت عند البهلول بن راشد إذ أتاه ابن فلان^(١)، فقال له البهلول: ما أقدمك؟ قال: نازلة. رجل ظلمه السلطان فأخفيته، وحلفت بالطلاق

(١) كنى عنه ولم يرد أن يسميه.

ثلاثاً ما أخفيته. فقال له البهلول: مالك يقول إنه يحنث في زوجته. فقال السائل: وأنا قد سمعته يقول، وإنما أريد غير هذا. قال: ما عندي غير ما تسمع. قال: فتردد عليه ثلاثاً، كل ذلك يقول له البهلول قوله الأول. فلما كان في الثالثة أو الرابعة قال: يا ابن فلان! ما أنصفتم الناس، إذا أتوكم في نوازلهم قلتُم: (قال مالك) فإن نزلت بكم النوازل طلبتُم لها الرخص؟ الحسن يقول: لا حنث عليه في يمينه. فقال السائل: الله أكبر، قلّدها الحسن. أو كما قال.

٢. وحكى أحمد بن عبد البر أن قاضياً من قضاة قرطبة كان كثير الإلتباع ليحيى بن يحيى، لا يعدل عن رأيه، إذا اختلف عليه الفقهاء، فوَقعت قضية تفرد بها يحيى، وخالف جميع أهل الشورى، فأرجأ القاضي القضاء فيها حياءً من جماعتهم. وردفته قضية أخرى كتب بها إلى يحيى، فصرف يحيى رسوله، وقال: لا أشير عليه بشيء، إذ توقف على القضاء لفلان بما أشرت عليه. فلما انصرف إليه رسوله وعرفه بقوله غلق منه. وركب من فوره إلى يحيى. وقال له: لم أظن أن الأمر وقع منك هذا الموقع وسوف أقضي له غداً إن شاء الله. فقال له يحيى: وتفعل ذلك صدقاً؟ قال: نعم. قال له: فالآن هيجت غيظي، فإنني ظننت إذ خالفني أصحابي أنك توقفت مستخيراً لله، متخيراً في الأقوال. فأما إذا صرت تتبع الهوى، وتقضي برضا مخلوق ضعيف فلا خير فيما تجيء به، ولا في إن رضيته منك، فاستعف من ذلك فإنه أستر لك، وإلا رفعت في عزلك، فرفع يستعفي فعزل.

٣. ثلاثة الأثافي: قصة محمد بن يحيى بن لبابة

قال الشاطبي: (ذكرها عياض وكانت مما غض من منصبه، وذلك أنه عزل عن قضاء "البيرة" لرفع أهلها عليه، ثم عزل عن الشورى لأشياء نقت عليه، وسجل بسخطه القاضي حبيب بن زياد، وأمر بإسقاط عدالته، وإلزامه بيته، وأن لا يفتي أحداً، فأقام على ذلك وقتاً، ثم إن الناصر احتاج إلى شراء مجشر^(١) من أحباس^(٢) المرضى بقرطبة بعدوة النهر، فشكا إلى القاضي ابن بقي أمره وضرورته إليه، لمقابلته منتزعه وتأذيه برؤيتهم أو أن تطلعه من علاليه، فقال ابن بقي: لا حيلة عندي فيه، وهو أولى أن يحاط بحرمة^(٣) الحبس. فقال له: فتكلم مع الفقهاء فيه، وعرفهم رغبتني، وما أجزله من أضعاف القيمة فيه، فلعلم أن يجدوا لي في ذلك رخصة.

فتكلم ابن بقي معهم، فلم يجعلوا إليه سبيلاً. فغضب الناصر عليهم، وأمر الوزراء بالتوجه فيهم إلى القصر وتوبيخهم. فجرت بينهم وبين الوزراء مكالمة، ولم يصل الناصر معهم إلى مقصوده. وبلغ ابن لبابة هذا الخبر، فرفع إلى الناصر يعض من أصحابه الفقهاء، ويقول: إنهم حَجَّرُوا عليه واسعاً، ولو كان حاضراً لأفتاه بجواز المعاوضة، وتقلدَّها وناظر أصحابه فيها.

(١) مجشر: قال ابن منظور في لسان العرب مادة جَشَرَ: الجَشَر بقل الربيع، والجشر أن يخرجوا بخيلهم فيرعوها أمام بيوتهم، فالمجشر المرعى، وقيل: حجارة يجشرها البحر، والله أعلم.

(٢) أوقاف.

(٣) لأن شرط الواقف كشرط الشارع لا يغير ولا يبدل.

فوقع الأمر بنفس الناصر، وأمر بإعادة محمد بن لبابة إلى الشورى على حالته الأولى، ثم أمر القاضي بإعادة المشورة في المسألة، فاجتمع القاضي والفقهاء، وجاء ابن لبابة آخرهم، وعرفهم القاضي ابن بقي بالمسألة التي جمعهم لأجلها، وغبطة المعاوضة فيها.

فقال جميعهم بقولهم الأول من المنع من تغيير الحبس عن وجهه، وابن لبابة ساكت، فقال له القاضي: ما تقول أنت يا أبا عبد الله؟

قال: أما قول إمامنا مالك بن أنس فالذي قاله أصحابنا الفقهاء، وأما أهل العراق فإنهم لا يجيزون الحبس أصلاً^(١)، وهم علماء أعلام^(٢) يهتدي بهم أكثر الأمة، وإذ بأمر المؤمنين من الحاجة إلى هذا المجسر ما به فما ينبغي أن يرد عنه، وله في السنة فسحة^(٣)، فأنا أقول فيه بقول أهل العراق، وأتقلد ذلك رأياً، فقال له الفقهاء: سبحان الله، نترك قول مالك الذي أفتى به أسلافنا ومضوا عليه، واعتقدناه من بعدهم، وأفتينا به لا نحيد عنه بوجه، وهو رأي أمير المؤمنين ورأي الأئمة آبائه^(٤)؟

فقال لهم محمد بن يحيى: ناشدتم الله العظيم، ألم تنزل بأحد منكم ملة بلغت منكم أن أخذتم بقول غير مالك في خاصة أنفسكم وأرخصتم لأنفسكم؟ قالوا: بلى. فقال: فأمر المؤمنين أولى بذلك، فخذوا به مأخذكم، وتعلقوا بقول من يوافق من العلماء، فكلهم قدوة.

(١) هناك قول شاذ للأحناف بعدم جواز الحبس — الوقف.

(٢) كلمة حق يراد بها باطل وتزوير الحق.

(٣) فسحته في هوى من أفتاه بذلك.

(٤) ومن قبل هو حكم الشرع.

فسكتوا. فقال للقاضي: أنه إلى أمير المؤمنين فتُتاي. فكتب القاضي إلى أمير المؤمنين بصورة المجلس، وبقي مع أصحابه بمكانهم إلى أن جاء الجواب بأن يأخذ له بفتيا محمد بن يحيى بن لبابة، وينفذ ذلك ويعوض المرضى من هذا المجشر بأملكه بمنية عجب^(١)، وكانت عزيمة القدر جداً تزيد أضعافاً على المجشر. ثم جيء من عند أمير المؤمنين بكتاب إلى ابن لبابة بولايته خطة الوثائق، ليكون هو المتولي لعقد هذه المعاوضة، فهنئ بالولاية، وأمضى القاضي الحكم بفتواه وأشهد عليه وانصرفوا. فلم يزل ابن لبابة يتقلد خطة الوثائق والشورى إلى أن مات سنة ست وثلاثين وثلاثمائة.

قال القاضي عياض: ذكرت بعض مشايخنا مرة بهذا الخبر، فقال: ينبغي أن يضاف هذا الخبر الذي حل سجل السخطة إلى سجل السخطة فهو أولى وأشد في السخطة مما تضمنه. أو كما قال. ٤. وذكر الباجي في كتاب (التبيين لسنن المهتدين) حكاية أخرى في أثناء كلامه في معنى هذه المسألة، قال: (وربما زعم بعضهم أن النظر والاستدلال الأخذ من أقاويل مالك بأياها شاء، دون أن يخرج عنها، ولا يميل إلى ما مال منها لوجه يوجب له ذلك. فيقضي في قضية يقول مالك، وإذا تكررت تلك القضية كان له أن يقضي فيها بقول ابن القاسم مخالفاً للقول الأول، ولا رأي تجدد له، وإنما ذلك بحسب اختياره.

قال: ولقد حدثني من أوثقه أنه اكرى جزءاً من أرض على الشيوع، ثم إن رجلاً آخر اكرى باقي الأرض. فأراد المكتري

(١) موضع.

الأول أن يأخذ بالشفعة وغاب عن البلد، فأفتى المكثري الثاني بأحد الروايتين عن مالك أن لا شفعة في الإجازات. قال لي: فوردت من سفري، فسألت أولئك الفقهاء — وهم أهل حفظ في المسائل وصالح في الدين — عن مسألتني فقالوا: ما علمنا أنها لك، إذ كانت لك المسألة أخذنا لك برواية أشهب عن مالك بالشفعة فيها، فأفتاني جميعهم بالشفعة، ففضي لي بها).

٥. قال: (وأخبرني رجل عن كبير من فقهاء هذا الصنف مشهور بالحفظ والتقدم أنه كان يقول معلناً غير مستتر: إن الذي لصديقي عليّ إذا وقعت له حكومة أن أفتيه بالرواية التي توافقه. قال الباجي: ولو اعتقد هذا القائل أن مثل هذا لا يحل ما استجاره، ولو استجاره لم يعلن به ولا أخبر به عن نفسه.

قال: وكثيراً يسألني من تقع له مسألة من الأيمان ونحوها (لعل فيها رواية؟) أو (لعل فيها رخصة؟) وهم يرون هذا من الأمور الشائعة الجائزة. ولو كان تكرر عليهم إنكار الفقهاء لمثل هذا لما طولبوا ولا طلبوه مني ولا من سواي وهذا مما لا خلاف بين المسلمين ممن يعتقد به في الإجماع أنه لا يجوز، ولا يسوغ، ولا يحل أن يفتى به في دين الله إلا بالحق الذي يعتقد أنه حق، رضي بذلك من رضيه، وسخط من سخطه وإنما المفتي مخبر عن الله تعالى في حكمه، فكيف يخبر عنه بما لا يعتقد أنه أخبر به وأوجبه، والله تعالى يقول لنبيه عليه الصلاة والسلام: "فَاَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ... الآية"^(١) فكيف يجوز لهذا المفتي أن يفتي بما

(١) سورة المائدة: ٤٨.

يشتهي، أو يفتي زيداً بما لا يفتي به عمراً لصداقة تكون بينهما، أو غير ذلك من الأغراض؟).

التاسعة: التحاسد، والتباغض، وعدم الإنصاف

من أمراض القلوب الخبيثة التي عمت بها البلوى في هذا العصر، بحيث لم ينج منها طائفة من العلماء دعك عن العامة: الحسد، والتباغض، والتداير، وعدم الإنصاف.

لقد نهى رسول الإسلام عن الحسد فقال: "لا حسد" (١) إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة، فهو يقضي بها ويعلمها الناس" (٢) وأمر الله عز وجل الأمة أن تستعيز من شر الحاسدين فقال: "وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ" (٣).

لقد تنبأ الرسول الكريم بانتقال هذه العدوى وهذا الداء العضال إلى هذه الأمة من الأمم السابقة فقال: "دب إليكم داء الأمم الحسد والبغضاء، هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعّر، ولكن تحلق الدين، والذي نفسي بيده، لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أنبئكم بما يثبت ذاكم لكم؟ أفشوا السلام بينكم" (٤).

يكفي الحسد سوءاً أن شبهه الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام بالخالقة للدين والمزيلة لأثره.

(١) المراد بالحسد هنا الغبطة.

(٢) متفق عليه.

(٣) سورة الفلق: ٥.

(٤) صحيح سنن الترمذي للألباني رقم [٢٥١٠] وقال: حسن.

هذا الخلق اللئيم والسلوك المشين لعلماء السوء منه أوفر الحظ والنصيب، ولأحبار اليهود الحظ كله. ولهذا قال سفيان بن عيينة: "من فسد من علمائنا ففيه شبه باليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه بالنصارى".

قال البيهاني رحمه الله: (وما وصف القرآن أحداً بالحسد ما وصف به اليهود قديماً وحديثاً، فهم القائلون لطالوت: "أَتَى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةَ مِّنَ الْمَالِ" (١) القائلون لمحمد صلى الله عليه وسلم: "مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ" (٢).

وهم الذين عرفوا الحق فجحدوه، وحاولوا أن يصدوا الناس عنه استكباراً في الأرض، واستحبوا العمى على الهدى، وكرهوا ما نزل الله على محمد، فخبب آمالهم، وأبطل أعمالهم "وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُقَارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ" (٣). ومن الغريب أن حسد العلماء لبعضهم بعضاً أشد من حسدهم لغيرهم.

والحسد إن دل على شيء عند علماء السوء وغيرهم فإنما يدل على ضعف الإيمان واليقين، وعلى قلة البضاعة، وعلى الخسة والنذالة في النفوس.

قال البيهاني رحمه الله: (وأشد ما تكون المنافسة، وأكثر ما يكون الحسد بين أهل الصنعة الواحدة، والشرف المتماثل، والبيوت المتجاورة، ولكنه لا يعيش إلا في قلوب خبيثة، ولا ينبت إلا في

(١) سورة البقرة: ٢٤٧.

(٢) سورة الأنعام: ٩١.

(٣) سورة البقرة: ١٠٩.

نفوس ضعيفة، وهو في العلماء أكثر منه في غيرهم كما يقول مالك بن دينار^(١) رحمه الله: (شهادة القراء — أي العلماء — مقبولة في كل شيء، إلا شهادة بعضهم على بعض، فإنهم أشد تحاسداً من النيوس) وتقدم أن العلماء — علماء السوء — بالحسد يدخلون النار قبل الحُساب^(٢) بسنة.

وقال بعض الحكماء: (بضاعة الشيطان خمسة أصناف، وعملاؤه خمسة: الحسد ويشتره منه العلماء، والكبر ويشتره الأرزال، والجور ويشتره الأمراء، والخيانة ويشترها التجار والصناع، والكيد ويشتره النساء وسائر الضعفاء.

وإنما يتحاسد العلماء إذا كان علمهم لغير الله، وأرادوا به صرف وجوه الناس إليهم. وبعضهم يتعلم ثم يترك العمل والاكْتساب ويصبح عالمة على الناس، ويعتقد أنهم متى رأوا غيره خيراً منه تركوه وأعرضوا عنه، ولذلك فهو يحسد أهل الفضل قاطبة، ويكره العلماء أجمعين، ولا يثني إلا على ميت أمن شره، أو غائب لا يخاف مكره، ولو أنهم طلبوا العلم لله وأرادوا به الآخرة، وعملوا لدنياهم كسائر الناس لصاروا هم السادة والقادة، والمشار إليهم بكل فضيلة...

والحقيقة أن العلم وسائر الصناعات لا يكون صاحبها حاسداً، إلا إذا كان قاصراً فيها، وعالماً بقصوره، ولو كمل لم يبال بغيره أدركه أو وقف دونه، معتقداً أن الكمال المطلق لله سبحانه وتعالى،

(١) قال عنه الذهبي في السير جـ ٥/٣٦٢-٣٦٤: (علم العلماء الأبرار، معدود في ثقات التابعين، ومن أعيان كتبة المصاحف. قال سليمان التيمي: ما أدركت أحداً أزهده من مالك بن دينار. مات ١٢٧هـ).

(٢) العشارون وجامعوا الإتوات.

وإذا جل قدر امرئ وبرز في علمه استعان على المزيد بغيره، وأخذ الحكمة حيث وجدها، ولا يعرف الفضل لأهل إلا ذوهه.

إلى أن قال: وختاماً نسأل الله العافية، والعمل الصالح، والنية الصادقة، ونعوذ به من شر ما خلق، ومن شر غاسق إذا وقب، ومن شر النفاثات في العقد، ومن شر حاسد إذا حسد^(١).

قال الغزالي رحمه الله وهو يتكلم عن آفات المناظرة: (فمنها الحسد: وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب"^(٢))، ولا ينفك المناظر عن الحسد، فإنه تارة يُغلب، وتارة يحمده كلامه، وأخرى يحمده غيره... فما دام في الدنيا واحد يذكره بقوة العلم والنظر، أو يظن أنه أحسن منه كلاماً وأقوى نظراً فلا بد أن يحسده، يجب زوال النعم عنه وانصراف الوجوه والقلوب إليه، والحسد نار محرقة، فمن بلي به فهو العذاب في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأعظم، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض، فإنهم يتغايبون كما تتغايب التيوس في الزريرة^(٣).

ومن صور الحسد عند علماء الدنيا إذا انتقل بعض تلاميذهم منهم إلى غيرهم، وقد وصف ذلك بعض السلف بالشهوة الخفية، ويؤدي به ذلك أن يحسد العالم الذي انتقل إليه بعض من كانوا تلاميذاً له.

(١) إصلاح المجتمع ص ١٠٤-١٠٥.

(٢) أبو داود في سننه في الآداب باب الحسد رقم [٤٩٠٣] بلفظ (اياكم والحسد) وسكت عنه وصحيح سنن أبي داود للألباني رقم [٣٠٩٣].

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي ج ١/٥٨-٥٩.

العاشرة: مخالفة عملهم قولهم

من علامات علماء السوء أنهم لا يأتون ما يأمر به غيرهم، ويقتربون ما ينهون عنه وقد ذم الله عز وجل هذا "أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَثَلَوْنَ الْكِتَابَ أَقْلًا تَعْقِلُونَ" (١) "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ" (٢) فهم بذلك خلطوا عملاً صالحاً وهو الأمر والنهي، بعمل سيء وهو عدم الالتزام بما أمروا ونهوا.

فأقوالهم تدعوا الناس إلى الإسلام وأفعالهم وسلوكهم ينفر منه. قال العلامة ابن القيم رحم الله: (علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون الناس إليها بأقوالهم، ويدعون إلى النار بفعلهم، فكلمات أقوالهم للناس: هلموا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء، وفي الحقيقة قطاع طرق) (٣).

قال الغزالي رحمه الله وهو يسرد أوصاف علماء السوء: (ومنها أن يخالف فعله قوله، بل لا يأمر بالشيء ما لم يكن هو أول عامل به. ثم أورد عدداً من الآثار (٤) في ذم هذا السلوك منها: ١. قال الأوزاعي رحمه الله: (شكت النوائيس (٥) ما تجد من جيف الكفار، فأوحى الله إليها: بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه).

(١) سورة البقرة: ٤٤.

(٢) سورة الصف: ٢-٣.

(٣) الفوائد لابن القيم طبع مطبعة الرياض ص ٦١

(٤) إحياء علوم الدين ج ١/٧٨.

(٥) مقابر النصارى - المصباح المنير مادة نوس.

٢. قال الفضيل بن عياض رحمه الله: (بلغني أن الفسقة من العلماء يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الأوثان).
٣. وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: (ويل لمن لا يعلم مرة، وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات).
٤. وقال الشعبي رحمه الله: (يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار، فيقولون لهم: ما أدخلكم النار، وإنما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم؟ فيقولون: إنا كنا نأمر بالخير ولا نفعله، وننهي عن الشر ونفعله).
٥. وقال حاتم الأصم رحمه الله: (ليس في القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علماً فعملوا به، ولم يعمل هو به ففازوا بسببه، وهلك هو).
٦. وقال مالك بن دينار رحمه الله: (إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا).
٧. ورحم الله القائل:

يا واعظ الناس قد أصبحت متهماً	إذ عبتَ منهم أموراً أنت تأتيها
أصبحتَ تتصحهم بالوعظ مجتهداً	فالموبات لعمرى أنت جانيها
تعيب دنيا وناساً راغبين بها	وأنت أكثر منهم رغبة فيها

يغني عن كل تلك الآثار والأشعار الزجر القرآني والتحذير النبوي من الناصح الأمين: "مررت ليلة أسري بي بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار. فقلت: من أنتم؟ فقالوا: كنا نأمر بالخير وننهي عن الشر ونأتيه"^(١).

(١) قال الحافظ العراقي في تخريج الأحياء: أخرجه ابن حبان من حديث أنس.

الحادية عشرة: القلب والروغان

الثبات على المبادئ والمواقف من علامات علماء الآخرة الأبرار والقلب والروغان من سمات علماء الدنيا، إذ لا يداومون على حال، بل يلبسون لكل حال لبوسها ويجارون الأحداث والظروف.

لقد كشفت الكوارث والمحن التي مرت بها الأمة الإسلامية في هذه السنوات الأخيرة العجاف تقلبات وتحولات في مواقف كثير من الدعاة والعلماء ما كانت تخطر على بال بشر ولولا أنا شاهدناها وعاصرناها لما صدقناها، نحو ما كنا نسمع عن:

١. عقيدة الولاء والبراء.

٢. مجاهدة الغزاة الصائلين.

٣. مناصحة الأمراء والسلطين.

وغيرها كثير.

لقد ذهب كل ذلك أدراج الرياح، وعدنا نسمع ونرى ونقرأ نقيض ذلك تماماً، لقد أضحى أسلوب التنازلات والمساومات وتقديم مصلحة الدعوة – كما يزعمون – هو الأسلوب الرائج الذي يُسَوَّق إليه ويدعى إليه جهاراً نهاراً من غير حياء.

لقد ثبت علماء الآخرة على مواقفهم ومبادئهم على الرغم مما لاقوا من العذاب والتكيل والحبس بل والقنل فلم يصرفهم ذلك عن دينهم، واستتكفوا أن يُعَرِّضُوا أو يداروا وكان لسان حالهم ما قاله السحرة بعد أن استقر الإيمان في قلوبهم للطاغية فرعون: 'فَاقض

مَا أَنْتَ قَاضٍ إِيَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا"^(١)، لعلمهم ويقينهم أن حفظ هذا الدين يقوم على ركيزتين ودعامتين هما:

١. الحفظ النظري وقد تولاه الله عز وجل لهذا الدين الخاتم، ولهذا الكتاب الناسخ، ولهذه الشريعة الخالدة "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"^(٢) والذكر يشمل القرآن والسنة.

٢. الحفظ العملي وهو الذي قام به الرسل واتباعهم بالأخذ بالعزائم والثبات على المبادئ، وسوم الأنفس رخيصة في جنب الله كما فعل:

- آل ياسر رضي الله عنهم.
 - وبلال رضي الله عنه.
 - وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه.
 - والبراء بن مالك رضي الله عنه.
- وغيرهم كثير من الصحابة والتابعين "مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا"^(٣).

• الأئمة الذين ابتلوا بفتنة خلق القرآن أمثال:

- أحمد بن حنبل رحمه الله.
- أحمد بن نصر الخزاعي رحمه الله.
- وأبو نعيم رحمه الله.
- وغيرهم كثير.

(١) سورة طه: ٧٢.

(٢) سورة الحجر: ٩.

(٣) سورة الأحزاب: ٢٣.

قال أحمد رحمه الله: (إذا سكت الجاهل لجهله، وأمسك العالم تقية، فمتى تقوم لله الحجة؟!)(^١) ولهذا هجر أحمد كل من ورى وعرض في فتنة خلق القرآن.

وقال ابن طاهر: سمعت الإمام أبا إسماعيل بهراة يقول: (عرضت على السيف خمس مرات، لا يقال لي ارجع عن مذهبك^(٢)، لكن يقال لي اسكت عن خالفك، فأقول: لا أسكت)^(٣). وعلى هذا الطريق سار علماء الآخرة: شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه وغيرهم كثير.

وليت قومنا سكتوا عما كانوا يصرحون ويعلنون من قبل إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ولكن جهروا بعكس ما كانوا يدينون ويعتقدون وأضحوا ينتقدون ويذمون الذين ثبتوا على ما كانوا هم عليه.

النقلب، والروغان الذي حدث في هذه السنوات من طائفة من هذه الأمة بجميع طبقاتها؛ حكاماً، وعلماء، وعامة لم يحدث قط في تاريخ هذه الأمة من قبل.

ولكن العزاء والسلوة في تلك الطائفة المنصورة التي لا يضرها من خذلها، ولا من خالفها حتى يأتي أمر الله، أو حتى تقوم الساعة وهم على ذلك كما أخبر الصادق المصدوق وذلك أن هذه الأمة لن تجتمع على ضلالة قط وأن الأرض لا تخلو من قائم لله بحجة.

(١) طبقات الحنابلة لأبي يعلى ج ٢/٢٧٩.

(٢) في عدم تأويل الأسماء والصفات.

(٣) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ج ١/٥٣-٥٤.

نماذج من ثبات العلماء على المبادئ والمواقف، وعدم

تراجعهم وإن أدى ذلك إلى القتل

١. روى ابن بطة بسنده قال: (حدثنا أبو علي - حنبل بن إسحاق بن حنبل - قال: حضرت أبا عبد الله، أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين عند عفان، وكان أول من امتحن^(١) عفان، وسأله يحيى بعد ما امتحن من الغد، فقال له: يا أبا عثمان، أخبرنا بما كلمك به إسحاق، وما كان مرده عليك؟ فقال: يا أبا زكريا^(٢)! لم أسود وجهك، ولا وجوه أصحابك - يعني بذلك أنني لم أجب - فقال له: كيف كان؟ قال: قرأ علي الكتاب الذي كتب به المأمون من أرض الجزيرة من "الرقعة" فإذا فيه: امتحن عفان، وادعه إلى أن يقول: القرآن - يعني مخلوق - فإن أجاب فأقره على أمره وإن لم يجبك إلى ما كتبت به، فاقطع الذي تجري عليه. قال عفان: فلما قرأ عليّ، قال لي إسحاق: ما تقول؟ فقرأت عليه "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ"^(٣) فقال إسحاق: يا شيخ إن أمير المؤمنين يقول: إنك إن لم تجبه إلى ما يدعوك إليه يقطع عنك ما يجري عليك، وإن قطع عنك أمير المؤمنين قطعنا نحن أيضاً^(٤). فقال: قال عفان: فقلت له قول الله عز وجل: "وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ"^(٥). قال: فسكت عني وانصرف، فسر أبو عبد الله بذلك ويحيى وأصحابهم.

(١) في فتنة خلق القرآن.

(٢) كنية يحيى.

(٣) سورة الإخلاص: ١.

(٤) وكانا يجريان عليه شهرياً ٧٠٠ درهم.

(٥) سورة الذاريات: ٢٢.

قال حنبل: فسمعت أبا عبد الله بعد ذلك يقول: سبحان الله! كان الناس يتكلمون يعني: في هذين الشيخين، ويذكرونهما، وكنا من الناس في أمرهما ما الله به عليم، قاما بأمر لم يقم به أحد مثلما قاما به؛ عفان، وأبو نُعَيْم.

وقال ابن بطة: وحدثني أبو بكر الأمين، قال: كنت عند عفان، وقد دعاه إسحاق إلى هذا الأمر، فقال: أعطوني ثيابي، فجاءوه بقميص جديد فقال لهم: هذا يكون لكم، هاتوا قميصاً خَلِقاً، قال: فألبسته إياه يعني: لضرب العنق^(١).

٢. روى ابن بطة بسنده إلى العباس بن مشكويه الهمداني قال: (أدخلت على الخليفة المتكفي بالوائق أنا وجماعة من أهل العلم فأقبل بالمسألة عليّ من بينهم. فقال: ما تقول في القرآن؟ فقلت: كلام الله غير مخلوق. قال: اشهد لتقولن مخلوقاً، أو لأضربن عنقك.

قال: قلت: إنك إن تضرب عنقي فإنك في موضع ذلك إن جرت به المقادير من عند الله، فنتبث عليّ يا أمير المؤمنين، فإما أن أكون عالماً فنتبث حجتي، وإما أن أكون جاهلاً فيجب عليك أن تعلمني، لأنك أمير المؤمنين، وخليفة الله في أرضه، وابن عم نبيه.

فقال: أما تقرأ: "إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ"^(٢) و"وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا"^(٣)؟ قلت: يا أمير المؤمنين الكلية في كتاب الله خاص أم عام؟ قال: عام. قلت: لا، بل خاص، قال الله عز وجل: "وَأُوتِيَتْ

(١) الابانة عن شرعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة لابن بطة

العكبري المتوفى ٣٨٧ هـ ج٤/٤٢٠.

(٢) سورة القمر: ٤٩.

(٣) سورة الفرقان: ٢.

من كُلِّ شَيْءٍ" (١) فهل أوتيت ملك سليمان عليه السلام؟ فحذفتني بعمود كان بين يديه، ثم قال: أخرجوه فاضربوا عنقه. فأخرجتُ إلى قبة قريبة منه، فشد عليها كتافي فناديت: يا أمير المؤمنين إنك ضارب عنقي، وأنا متقدمك فاستعد للمسألة جواباً.

فقال: أخرجوا الزنديق، وضعوه في أضيق المحابس، فأخرجتُ إلى دار العامة، فإذا أنا بابن أبي دُواد يناظر الناس على خلق القرآن، فلما نظر إليّ، قال: يا خرمي! قلت: أنت والذين معك هم شيعة الدجال. فحبسني بسجن ببغداد يقال له "المطبق"، فأرسل إليّ جماعة من العلماء رقعة يشجعونني ويثبتونني على ما أنا عليه، فرأت ما فيها، فإذا فيها:

عليك بالعلم واهجر كل مبتدع وكل غاوَ إلى الأهواء ميال
ولا تميلن يا هذا إلى بدع يضل أصحابها بالقليل والقال

ثم ذكرني بعد أيام وأخرجني من السجن وأوقفني بين يديه، فقال: عساك مقيماً على الكلام الذي سمعته منك؟ فقلت: والله يا أمير المؤمنين إنني لأدعو ربي - تبارك وتعالى - في ليلي ونهاري ألا يميتني إلا على ما كنتَ سمعته مني. قال: أراك متماسكاً!

ثم ناظره فلما رأى قوة حجته وثباته، أمر بقلع أربعة أضراس له، وقال: أخرجوه عني لا يفسد عليّ ما أنا فيه.

فأخرجتُ، فلقيت أبا عبد الله - أحمد بن حنبل - فسألني عما جرى بيني وبين الخليفة فأخبرته، فقال: لا نسي الله لك هذا المقام حيث تقف بين يديه (٢).

(١) سورة النمل: ٢٣.

(٢) المصدر السابق ٤١٥-٤١٧.

الثبات على المبادئ عاقبته الفلاح في الدنيا والآخرة، والتنازل عاقبته الخسران والحسرة والندامة في الدنيا والآخرة.

روى ابن بطة بسنده قال: (حدثنا أبو محمد — المنتصر بن حميم المنتصر — قال: أصبح عليُّ بن المديني ذات يوم مغموماً، قال له أصحابه: مم غمك؟ قال: رأيت، في منامي داود عليه السلام قد صافحني. قال: فقيل له: ليس إلا خيراً، نبي من الأنبياء وكان عليُّ بن المديني من أعبر الناس للرؤيا — فقال: أما إنه لو كان أيوب لأبتليت في بدني، ولو كان يعقوب لأبتليت في ولدي، ولكنه داود ابتلي في دينه^(١)، وأنا أخاف الله أن ابتلي في ديني، فما كانت إلا أيام حتى امتحن فأجاب، قال: فبينما هو جالس ذات يوم بعد المحنة لأصحابه، إذ جاءتة جارية برقعة فدفعتها إليه، فقرأ ثم بكى، قال: فسئل عما فيها، قال: بعض الأبيات، فإذا هي:

يا ابن المديني الذي عرّضت له	دنيا فجاد بدينه لينالها
ماذا دعاك إلى انتحال مقالة	قد كنت تزعم كافراً من قالها
أمر بدالك رشده فتبعته	أم زهرة الدنيا أردت نوالها؟
فلقد عهدتك لا أبالك جاهاً	صعب المقالة للتي تدعى لها
إن المعزّي من يصاب	لا من يُرزى ناقةً وفصيلها ^(٢)

(١) يشير إلى قوله تعالى: "وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه".
(٢) الإبانة رقم [٢٤١٧] ج٤/٤١٧-٤١٨. وقال محققه: أورده الذهبي في السير ج١١/٥٦ والمزّي في تهذيب الكمال ج٢١/٢٧.

الثانية عشرة: الإعجاب بالرأي، والاستنكاف والاستكبار

عن قبول النصح

علماء الآخرة رجّاعون إلى الحق، سماعون له، مثنيين على من أبداه لهم، كان عمر رضي الله عنه يقول: "رحم الله امرءاً أهدى إليّ عيوبي" على العكس والنقيض من ذلك جبايرة علماء الدنيا فإن شيمتهم العتو والتكبر والتجبر وعدم قبول النصيحة، وازدراء وانتقاص والنيل ممن أبداها لهم ولو كان من المقربين إليهم، لكن رغبتهم في الثناء عليهم والإطراء لهم ولو أدى ذلك إلى قضم ظهورهم وذبحهم من غير سكين.

إعجاب المرء برأيه واستبداده به من المهلكات بحيث إذا تفتى هذا الداء العضال، والمرض البطال في أمة من الأمم، أو طائفة من الطوائف، حرّموا من إسداء النصح لهم وعذر من رآهم على غيهم ثم لم يأخذ بأيديهم.

فعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تأويل قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ"^(١) فقال: "بل اتّمروا بالمعروف، وانتهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بنفسك، ودع عنك العوام، فإن وراءكم أياما الصبر فيها كالقبض على الجمر، للعامل فيها أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم" قيل: يا رسول الله، أجر خمسين رجلاً منا أو منهم؟ قال: "بل أجر خمسين

(١) سورة المائدة: ١٠٥.

منكم" (١) وزاد مسلم: "لأنكم تجدون على الخير أعواناً ولا يجدون على الخير أعواناً".

هذه الصفات الأربعة التي عدّها رسول الله صلى الله عليه وسلم صادة ومانعة عن قبول الحق لا ينفك بعضها عن بعض، فإذا وجدت واحدة منها نادت على الأخريات فاجتمعن معها وهي:

١. الشح المطاع.

٢. الهوى المتبع.

٣. إيثار الدنيا على الآخرة.

٤. والاعجاب بالرأي والاستتكاف عن قبول النصح وسائرهما

مغروزة في علماء السوء.

(١) أبو داود رقم [٤٣٤١] والترمذي رقم [٣٠٥٨] وابن ماجه رقم [٤٠١٤] وصححه ابن حبان رقم [٣٨٥].

الفصل الثاني

خطر وضرر علماء السوء على الدين والدنيا

الأخطار والأضرار الناتجة من سلوك، وتصرفات، وأخلاق علماء السوء كثيرة هي الأخرى وسنشير في هذه العجالة إلى أهمها وأكثرها ضرراً على الدين والدنيا فنقول:

الأولى: إهانة العلم وإذلاله، وإذلال أهله

أولى المخاطر الناتجة من سلوك وتصرفات علماء السوء راجعة إلى العلم والعلماء حيث أهانوه ودفنّسوه ودفنّسوا أصحابه وأشأنوا سمعته، ولو شاء الله أن يعظموه ويكرموا حملته لفعل.

ما من أصحاب مهنة ولا حرفة إلا وتجدهم حريصين على صيانة مهنتهم وسمعته، وإلا وتجدهم يدفعون عن أنفسهم وقرنائهم كل ما نسب إليهم، ولهذا كان الأحرى بأهل العلم أن يحرصوا على صيانة علمهم، وإكرام وإعزاز أنفسهم بالترفع عن الصغائر، والتنزه عن الدنيا وملذاتها الفانية، وبالتباعد عن السلاطين وذوي الجاه، وأبناء الدنيا بصفة عامة وبالانحياز إلى إخوانهم العلماء وبالاشتغال بتعليم ونصح العامة وإرشادهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم.

ولله در القاضي الأديب الأريب، والشاعر المجيد أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني^(١) حيث نبه لهذا الخطر، وحذر منه في قصيدته التي سارت بها الركبان، وخلدت ذكره على مدى الدهر والأوان:

يقولون لي فيك انقباض وإنما
أرى الناس من دانهم هان عندهم
وما كل برق لاح لي يستفزني
وإني إذا ما فاتني الأمر لم أبت
ولم أقض حق العلم إن كان كلما
إذا قيل هذا منهل قلتُ قد أرى
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي
أشقى به غرساً وأجنيه ذلّة
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولكن أهانوه فهان ودنسوا

رأوا رجلاً عن موقف النل أحجماً
ومن أكرمته عزة النفس أكرماً
ولا كل من لاقيت أرضاه منعماً
أقلب كفي إثره متندماً
بدا طمع صيرته لي سلماً
ولكن نفس الحر تحتل الظماً
لأخدم من لاقيت لكن لأخدماً
إذا فاتباع الجهل قد كان أحزماً
ولو عظموه في النفوس لعظماً
محياه بالأطماع حتى تجهماً

لقد نصح لإخوانه العلماء ووضع لهم منهجاً، ورسم لهم خطة لو اتبعوها لأفلحوا ولما سقط منهم أحد على أم رأسه وانتكس. وكذلك نحى نحوه وحذى حذوه الإمام ابن دقيق العيد عندما أشير إليه بالذهاب إلى القاهرة والدخول على الحكام والسلاطين وكان بمدينة قوص حيث قال:

يقولون لي هلا نهضت إلى العلا
فما لذ عيش الصابر المتقنع

(١) كان قاضياً على جرجان ثم الري وقد جمع بين الفقه والشعر وله ديوان مشهور، وكان حسن الخط، فصيح العبارة، وهو مصنف كتاب (الوساطة بين المتنبى وخصومه) توفي ٣٩٢هـ.

بمصر إلى ظل الجناب المرفع
إذا شاء روى سيله كل بلقع
تعين كون العلم غير مضيع
يشير إليهم بالعلم كل أصبع
فقم واسع واقصد باب رزقك واقرع
ذليلاً مهاناً مستخفاً بموضع
على باب محجوب اللقاء ممنع
أروح وأغدو في ثياب التصنع
أراعي بها حق التقى والتورع
تشب بها نار الغضى بين أضلعي
إذا بحثوا في المشكلات بمجمع
وقد شرعوا فيها إلى شر مشرع
أوالصمت عن حق هناك مضيع
وإما تلقى غصة المتجرع^(١)

وهلا شددت العيس حتى تحلها
ففيها من الأعيان من فيض كفه
وفيهما قضاة ليس يخفى عليهم
وفيهما شيوخ الدين الفضل والعلا
وفيهما وفيها والمهانة ذلة
فقلت: نعم إذا شئت أن أرى
وأسعى إذا ما لذي طول موقفي
وأسعى إذا كان النفاق طريقي
وأسعى إذا لم يبق في بقية
فكم بين أرباب الصدور مجالساً
وكم بين أرباب العلوم أهلها
مناظرة تحمي النفوس فتنتهي
من السفه المزري بمنصب أهله
فإما توقي مسلك الدين والتقى

الثانية: فساد الدين وتبديله

من مخاطر ومضار سلوك وتصرفات علماء السوء فساد الدين
وتبديله وتحريفه، فكما أفسد أحبار السوء من اليهود اليهودية
والنصرانية، كذلك يسعى علماء السوء من هذه الأمة لفساد الدين
وتبديله وتحريفه حتى يكون مغايراً تماماً لما جاء به محمد صلى الله
عليه وسلم.

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي
ج ٣/٤٦١-٤٦٢.

ولله در ابن المبارك حين قرر ذلك ورد فساد الدين إلى ثلاث طوائف هم:

١. الملوك.

٢. وعلماء السوء.

٣. والعباد المنحرفون عن الجادة.

حيث قال:

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها؟

فساد الملوك والحكام للدين يكون بعدم حمايته والذب عنه، وعدم تطبيقه، واستبداله بالذي هو أدنى، وكذلك بإشاعة الظلم والجور والتعدي على الحقوق، وعدم التسوية بين الرعية والعدل في القضية.

وفساد أحبار السوء في التبديل والتحريف واتباع أسلوب التنازلات والمساومات.

وفساد العباد بإحداث البدع وإماتة السنن والتمسك بالعادات والتقاليد والتفريط في الشرع المجيد.

فإفساد علماء الدنيا للدين من أهل الأهواء بدأ منذ أن نبتت فرق: المعتزلة، والقدرية، والمرجئة، والرافضة، والخوارج، والجهمية، وغيرهم من أهل الأهواء حيث ابتدعوا أصولاً جديدة، وأساليب محدثة نتج عنها تفرق الأمة وتحزبها إلى فرق وطوائف كل حزب بما لديهم فرحون، ولولا حفظ الله لهذا الدين، ثم ما قام به ورثة الأنبياء من أهل السنة لضاعت معالم هذا الدين، وأصابه من التحريف والتبديل ما أصاب دين المغضوب عليهم والضالين من أهل الكتابين.

لا يزال أحبار السوء وعلماء الدنيا يسعون للفساد في الأرض ويعملون بجد وإخلاص، دون كلل ولا ملال للنيل من هذا الدين، يعينهم على ذلك شياطين الإنس والجن، وتسخر لهم إمكانات الذين كفروا والمنافقين فسيففونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون. لذلك الواجب على الأمة الوسط، أهل الحق والعدل أن ينتبهوا لكيد الأعداء، وأن يرصدوا ويراقبوا تدبيرهم وتخطيطهم وأن يكشفوا عن مؤامراتهم. متسلحين بالعلم، معتمدين ومتوكلين على ربهم ومولاهم.

من أوجب واجبات علماء أهل السنة النصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم وعليهم أن لا تأخذهم في ذلك لومة لائم وليتقوا بوعد رب العالمين "وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ"^(١).

الثالثة: زعزعة ثقة العامة في العلماء

سلوك علماء السوء وتكالبهم على الدنيا، وحرصهم على الجاه، أدى إلى زعزعة ثقة العامة فيهم، وجعلهم يبحثون عن بدائل لهم. كان علماء الآخرة هم القادة والرواد للأمة في جميع عصورها، يفرع إليهم الناس عند حدوث الفتن ونزول الكوارث والمحن، وكانوا يجدون فيهم الملاذ والخلص من كثير مما يحدث بهم من مخاطر. كل الحركات التجديدية والإصلاحية التي أثرت في مسيرة هذه الأمة، وردّها إلى الجادة، وعصمتها من الزلل بعد توفيق الله عز وجل، كانت بواسطة علماء الآخرة الربانيين الحكماء الصادقين.

(١) سورة الروم: ٤٧.

بدءاً بما قام به مجدد القرن الأول الخليفة الراشد الخامس عمر ابن عبد العزيز رحمه الله، ومروراً بالمجددين الذين تلووه، وانتهاءً بمجدد القرن الثالث عشر الشيخ محمد بن عبد الوهاب طيب الله ثراه.

وكل الحركات التخريبية أظهر فسادها، وبين عوارها، وتصدى لها العلماء في حينها فما أطيب أثر علماء أهل السنة على الناس وما أسوأ أثر الناس عليهم.

لم تؤت الأمة قط من قبل علمائها الأخيار وإنما أتيت من المبتدعة الفجار، و علماء السوء، والمنافقين الأشرار.

ما كان لرؤوس الضلال والعلمانيين أن يتصدروا لقيادة المجتمع وريادته إلا بعد أن فقد كثير من المسلمين الثقة في طوائف من أهل العلم بسبب تلبسهم بالدنيا، وحرصهم عليها، وعدم اهتمامهم بقضايا أمتهم، والتصدي لها، والعمل على إيجاد الحلول لها.

من المحزن جداً أن يتصدى بعض من لا خلاق لهم لمناصرة الضعفاء زوراً وبهتاناً وأن يغفل عن ذلك أهل العلم الشرعي.

ومن العار أن يزهد في الدنيا أهل الأهواء ويتكالب عليها المنتسبون إلى السنة ويحرصوا على مخالطة أهلها ولو أدى ذلك إلى ذهاب دينهم كله أو بعضه.

كان عمرو بن عبيد المعتزلي غاية في الزهد حتى شهد له الخليفة العباسي الرشيد رحمه الله وقال فيه:

كلكم يمشي رويد * كلكم يطلب صيد * غير عمرو بن عبيد

وكان الحسن البصري وأبو حنيفة^(١) رحمهما الله يشهدان له
بالزهد ويستجيزان لعنه، قال الحسن البصري عنه: (لعنه الله ما
أزهده)

الرابعة: توليد اليأس والقنوط من الإصلاح والرجوع إلى الحق
من المضار العظيمة، والمخاطر الجسيمة الناتجة من السلوك
السالب الذي سلكه علماء السوء، والتصرفات المنكرة الصادرة
منهم، إشاعة روح اليأس والقنوط من إصلاح الحاكم والمحكومين
والرجوع إلى ما كان عليه السلف الصالحون.
ومعلوم من دين الله أن اليأس والقنوط من كبائر الذنوب، وأن
الأمّة التي يسيطر عليها هذا الوهم ويخيم عليها هذا الشعور تستسلم
لواقعها المرير ولا تسعى وتعمل لتغييره، وهذا من أقوى أسباب
الفشل للأمم.

لقد مدح الله صدر هذه الأمة عندما نالها شيء من الهزيمة في
أحد وصفهم بأنهم الأعلون على الرغم من ذلك لعلمه بتقّتهم بوعد
ربهم فقال: "وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلُونَ"^(٢) وصفهم بما
وصف به رسولين كريمين من رسله وهما في حالة ضعف وعجز
مقابل قوة فرعون وملئه وتمرده وطغيانه، قائلاً لموسى عليه
السلام: "إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى"^(٣) وقد كان موسى هو الأعلى وكذلك

(١) قال ابن مفلح في الآداب الشرعية جـ ٢/١٢٤: (قال محمد بن الحسن: كان
أبو حنيفة يحنثا على الفقه، ونهانا عن الكلام، وكان يقول: لعن الله عمرو بن
عبيد لقد فتح الناس الطريق إلى الكلام مما لا يعنيههم).

(٢) سورة آل عمران: ١٣٩.

(٣) سورة طه: ٦٨.

رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام بسبب ثقتهم بربهم
وتصديقهم لوعده "إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الْمِيعَادَ"^(١).

لقد دب هذا الداء الخبيث في الأمة الإسلامية اليوم إثر الحرب
الصليبية الشرسة التي تولت كبرها أمريكا وحلفاؤها حلفاء السوء
على العالم الإسلامي، ليس نتيجة لقوة أمريكا وتفوقها في السلاح
والعتاد، ولكن نتيجة للتخاذل والتنازل عن كثير من المسلمات من
قبل طائفة من أهل العلم وبسبب التراجع عن المواقف، والحرص
على السلامة، والتكالب على المصالح الدنيوية الفانية، بحجج أوهى
من خيط العنكبوت معلومة للجميع.

لقد نتج عن ذلك حرب نفسية ذاتية وهي أخطر من الحرب
العسكرية التي يتولاها الكفار ومن عاونهم من الأشقياء والفجار.

كان الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح يستبشرون
بالضيق ويعلمون أن فرج الله يأتي بعده إيماناً و يقيناً بوعد الله عز
وجل: "قَالَ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا"^(٢) ولهذا قال مالك
رحمه الله: (لن يغلب عسر يسرين).

أيها المسلمون ثقوا بربكم، وددوا توبتكم، واعملوا على تغيير
ما بأنفسكم يغير الله ما بكم، وتذكروا وعوا أن صلاح آخر هذه
الأمة لا يكون إلا بما صلح به أولها.

لن تتصلح الأمة في يوم من الأيام إلا بـ:

١. الاعتصام بكتاب ربها وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم، على
فهم الصحابة رضوان الله عليهم.

٢. الاجتماع والاتتلاف وتوحيد الصف ونبذ الفرقة.

(١) سورة آل عمران: ٩.

(٢) سورة الشرح: ٥-٦.

٣. الالتفاف حول علماء الآخرة.

٤. إحياء شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بضوابطها الشرعية.

٥. رفع راية الجهاد، فما أخذ بالقوة لا يرد إلا بالقوة.

٦. الدعاء والتضرع أن يرد الله الأمة جمعاء إليه رداً جميلاً.

الخامسة: التشتت، والتشردم، وتوسيع دائرة الخلاف

من النتائج المخيفة، والآثار السيئة لسلوك وتصرفات علماء السوء أن تفرقت الأمة شذر مذر، وأضحت أحزاباً وطوائف وفرق كل حزب بما لديهم فرحون، ويسعى كل فريق للنيل من الآخر وأن تكون له الغلبة.. ومعلوم من دين الله عز وجل أن الخلاف شر، وأن عزة هذه الأمة في اجتماع كلمتها وتوحد صفها، ونبذ الفرقة كما أمرهم ربهم وخالفهم بذلك "وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا"^(١).

عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: خطبنا عمر بالجابية، فقال: أيها الناس! إني قمت فيكم كمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا، فقال: (أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفسو الكذب، حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد، ألا لا يخلون رجل بامرأة، إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوبة الجنة، فليلزم الجماعة، من سرته حسنته، وساءته سيئته فذلك المؤمن^(١). هذا الاختلاف والتفرق والتشردم مرده إلى اتباع الأهواء، والاعتداد بالأراء، والاستكاف والاستكبار عن قبول النصح. وهذه الصفات كلها متركزة ومتوفرة عند علماء السوء ولذلك فهم مسؤولون عن ذلك مسؤولية مباشرة، وسيسألون عنه فليعدوا لذلك اليوم عدته، ولهذا السؤال جوابه. اجتماع الأمة وتوحيد صفها لا يتأتى بعقد الندوات، وإقامة المؤتمرات، ولا بالدعوات الفضفاضة وإنما بصدق النية وسلامة المنهج.

ما من عاقل يرى حال الأمة وما هي عليه من ذل وهوان يعارض توحيد الكلمة ولم الصف، لكن بشرط تحديد المقاصد والأهداف والاجتماع على كلمة سواء.

إذا كان الله عز وجل أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول لأهل الكتاب: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ"^(٢) فمن باب أولى وبالأحرى أن يكون الهدف الأساس، والمقصد الأول من هذا الاجتماع الالتفاف حول الكلمة السواء وهي كلمة التوحيد التي جاءت بها جميع الرسل عليهم السلام، وحمى جنابها خاتمهم صلى الله عليه وسلم.

(١) صحيح سنن الترمذي رقم [٢١٦٥] وصحيح سنن ابن ماجه رقم [٢٣٦٣] وكلاهما للألباني.

(٢) سورة آل عمران: ٦٤.

أما التجميع على غير هذه الكلمة السواء فلن يأتي بخير.
لا شك عند النوازل تتضافر الجهود ويجتمع أهل القبلة لمقابلة
عدوهم الصائل.

لم تتل الأمة من هذا التجمع (الغثائي) والحرص عليه خيراً فقد
كانت هذه السمة هي التي سعى لتجميع الناس عليها طائفة من الأمة
ولعقود من الزمان من غير فائدة تذكر، ولا نتيجة تحمد فالعاقل من
اتعظ بغيره، والرشيد من سلك سبيل المؤمنين الصادقين والسلف
الراشدين.

السادسة: تعدد المصادر، واختلاف المناهج

كان المسلمون في عصورهم الثلاثة الفاضلة يصدرون من
مصدر واحد، ويسلكون منهجاً واضحاً وهو ما كان عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام في ذلك اليوم، لكن ما فتى أهل
الأهواء يضيفون مصادر جديدة، ويبتدعون مناهج غريبة بعيدة عما
كان عليه الصدر الأول.

حيث أضحى العقل والمنطق مصدران جديدان عند أهل
الأهواء، وليتهم ساووا بما ابتدعوا من مصادر مصدري التشريع
الأساسيين: القرآن والسنة، بل جعلوا العقل حكماً عليهما، فما قبأته
عقولهم المريضة المحشوة بالشبه والهوى قبلوه، وما رفضته
رفضوه، من غير حياء ولا خجل وهم يحسبون أنهم يحسنون
صنعاً.

ثم توالى المصادر البدعية حيث انضاف لذلك المصلحة
المتوهمة التي أمست هي المصدر الأساس والصنم الذي يعبد فكل

نص مهما كان صحيحاً صريحاً يرد إذا خالف الهوى بدعوى مخالفته الشريعة.

ثم جيء بكلمة حق يريدون بها باطلاً وهي مقاصد الشريعة، وذلك بعد أن ضيعوا أصل الشريعة، فقد اكتفوا من النصوص القرآنية والحديثية ومن الشريعة بالنكهة والمزاج.

ثم كانت الثالثة الأثافي وعظيمة الدواهي حيث استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير الدساتير والقوانين التي سنها الكفار أضحت هي البديل لشرع الله المصطفى في جل بلاد الإسلام.

فتعدد المصادر، واختلاف المناهج باختلاف الأهواء، ثمرة خبيثة من الثمار التي جنتها الأمة من علماء السوء حيث زعم بعض المشايخ الممسوخين والعلماء المفتونين^(١) بعد سقوط الخلافة العثمانية أن الإسلام ليس فيه نظام للحكم، وإنما هو عبارة عن النصرانية واليهودية المبدلة تعلقه بالآخرة فقط.

فعدم وجود مرجعية ومصدر واحد ينهل منه جميع المسلمين الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر هو الطامة الكبرى والنازلة العظمى.

لقد غضب عمر رضي الله عنه لاختلاف صحابييين: أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود عندما اختلفا في مسألة من مسائل الفروع

(١) علي عبد الرازق: في كتابه (الإسلام وأصول الحكم) الذي أصدره ١٩٢٥م وندد فيه بفكرة الخلافة، منكرأ صلتها بالإسلام، ووصف أبا بكر الصديق بأنه كان أول ملك في الإسلام، وأن ملكه قام على أساس القوة والسيف كما زعم. انظر نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية للأستاذ محمد خير عبد القادر ص ١٦ هامش (٤) - فكان مثلاً حياً لعلماء السوء.

وهي ما تصح الصلاة به من اللباس وقال: (عن أيكما يصدر الناس؟) أو كما قال.

الأضرار، والمخاطر، والكوارث، والطوام التي حلت بالأمة بسبب اتباع طائفة من علمائها لأهوائهم، لا تحصى كثرة، وفيما ذكر إشارة وتنبية لخطورة هذه الطائفة المشؤومة التي تفشى خطرها، وشاع أمرها، وخفي خطرها على كثير من العامة، ومكّن لها في وسائل الإعلام حتى أضحت حجراً عليها وحرماً منها علماء الآخرة، وكان الكثير من هؤلاء محروم منها ولكنها عندما غيروا وبدلوا وساروا مع التيار فتحت لهم المنابر، ويسرت لهم الطرق والوسائل، وذللت لهم الصعاب، فأضحوا من المقبولين بعد أن كانوا من المرفوضين، وأمسوا من المقربين بعد أن كانوا من المبعدين، فإننا لله وإنا إليه، ونسأل الله العافية لنا ولهم ولجميع إخواننا المسلمين.

خاتمة

لا شك أن علماء السوء ليسوا سواء، فهم مختلفون اختلافاً كبيراً، ومتباينون تبايناً عظيماً. فكما أن علماء الآخرة رتب ودرجات بعضها أرفع وأجل من بعض، كذلك علماء السوء دركات بعضها أخس وأحط من بعض.

فعلماء السوء منهم الكافرون، والمنافقون، والمبتدعون، ومنهم من هم دون ذلك، لكن يسعهم ويشملهم اسم السوء.

ما دفعني إلى تسطير ما سطرت، وبيان ما وصفت، إلا الذي دفع حذيفة رضي الله عنه عندما كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكان يسأله عن الشر وعلل ذلك بقوله: (مخافة أن يدركني).

فخوفي من أن ينالني أو ينال كثيراً من إخواني العلماء وطلاب العلم شيء من ذلك، مع عدم تبرئة نفسي عن كثير من هذا السلوك، فنحن نعيش زمان فتن قل من يسلم فيه من ذلك إلا أمثال المشايخ العظام، والأئمة الكرام نحو سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ومن شابهه طيب الله ثراهم.

فما أردت من ذلك إلا الإصلاح ما استطعت، إذ قوام هذا الدين النصيحة التي قل من يقوم بها، وأقل منهم من يقبلها وينتفع بها ويراجع نفسه على ضوئها في هذا الزمان، فمن كان مصاباً بشيء من هذه الأدواء سارع إلى التوبة منها، وعمل للتخلص من ذلك قبل فوات الأوان، ونزول الحسرة والخسران، وإن عافاه الله منها فليحمد الله على ذلك ويلزم ما هو عليه حتى يأتيه اليقين.

كان لا بد من التمثيل لهذه الأدواء لأن الأمثلة تقرب المعنى، وتوضح المراد، وليس مرادي التعريض وإن بدا ذلك، ولهذا لم أسم أحدًا إلا أئمة الضلال الذين ذاقت الأمة سوء العذاب بسبب ما ابتدعوه وأحدثوه أمثال بشر المريسي، وابن أبي دُواد، وعمرو بن عبيد، وعلي عبد الرازق فهؤلاء يمثل بهم ويصرح بأسمائهم ولا كرامة بل ويلعنون تقرباً، ويغضون تعبدًا.

قال رجل لأبي خليفة الفضل بن الحباب الحنبلي: من قال القرآن مخلوق؟ قال: (ذلك رجل ضال مبتدع، العنه دينانة، واهجره تقرباً إلى الله، بذلك قال الإمام أحمد بن حنبل)^(١).

ولهذا تسامت نفس إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله فعفى عن جميع من ظلمه وما كان يدعو عليهم إلا أنه لم يعف عن أئمة الضلال وكان يقول: (ماذا يستفيد المرء بتعذيب أخيه المسلم) أو كما قال. ولو حق لي أن أسمى أحدًا من غير أهل البدع المجاهرين ببدعتهم لسميت نفسي.

وفي الختام أقول: إن وفقت لما قصدتُ فمن الله وحده، وله الحمد والمنة، وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان مما أقول ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على خير الأنام محمد ابن عبد الله وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

(١) طبقات الحنابلة لأبي يعلى ج ١/٢٥٠-٢٥١.

المراجع

- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي، وبذيله: المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار للحافظ العراقي - طبع مكتبة الفيصلية مكة المكرمة.
- الآداب الشرعية، والمنح المرعية - للإمام المحدث أبي عبد الله محمد بن مفلح المتوفى ٧٦٢هـ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعمر القيام الطبعة الثانية ١٤١٧هـ - مؤسسة الرسالة.
- أدب الدنيا والدين لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (٣٦٤ - ٤٥٠هـ) تحقيق أ/ محمد فريد، طبع المكتبة التوفيقية.
- تفسير التحرير والتنوير للعلامة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور طبع دار التونسية للنشر ١٩٨٤م.
- تلبيس إبليس للحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي المتوفى ٥٩٧هـ - طبع دار الكتب العلمية.
- إصلاح المجتمع - شرح مائة حديث مختارة مما اتفق عليه البخاري ومسلم تأليف محمد ابن سالم البيهاني (١٣٢٦ - ١٣٩٢هـ) الطبعة الثانية - مكتبة أسامة بن زيد - بيروت.
- جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف بن عبد البر المتوفى ٤٦٣هـ - تحقيق أبي الأشبال الزهيري الطبعة الثانية ١٤١٦هـ - دار ابن الجوزي.
- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي - دار الفكر.

- حياة الحيوان الكبرى لكمال الدين محمد بن موسى بن عيسى
الدميري المتوفى ٨٠٨ هـ — قدم له ووضع حواشيه أحمد حسن بسج
— طبعة دار الكتب العلمية.
- رياض الصالحين لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (٦٣١
— ٦٧٦ هـ) تحقيق عبد العزيز رباح، وأحمد يوسف الدقاق —
الطبعة التاسعة ١٤٠٧ هـ — دار المأمون والرسالة.
- تفسير الطبري — جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي
جعفر محمد بن جرير الطبري ٢٢٤ — ٣١٠ هـ تحقيق محمود محمد
شاكر، ومراجعة أحمد محمد شاكر — دار المعارف بمصر.
- سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن
عثمان الذهبي المتوفى ٧٤٨ هـ — تحقيق شعيب الأرنؤوط مؤسسة
الرسالة الطبعة السابعة ١٤١٠ هـ.
- صحيح سنن أبي داود للشيخ محمد ناصر الدين الألباني
الطبعة الثانية ١٤٢١ هـ — مكتبة المعارف — الرياض.
- صحيح سنن الترمذي للشيخ محمد ناصر الدين الألباني
الطبعة ١٤٢٢ هـ — مكتبة المعارف — الرياض.
- طبقات الحنابلة لأبي يعلى الحنبلي. تحقيق محمد حامد
الفتي — المكتبة الفيصلية مكة المكرمة.
- عمدة التفسير عن الحافظ بن كثير — اختيار وتحقيق الشيخ
أحمد محمد شاكر.
- الفوائد — لشمس الدين ابن القيم المتوفى ٧٥١ هـ — طبع
مكتبة الرياض الحديثة.
- فيض القدير — شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير
النذير للعلامة عبد الرؤوف المناوي — طبع دار الفكر.

- طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ٧٢٧ – ٧٧١هـ تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو – محمود محمد الطناحي – دار إحياء الكتب العربية.
- كتاب الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي (٧٣٦ – ٧٩٥هـ) تحقيق محمد حامد الفقي طبع المكتبة الفيصلية مكة المكرمة.
- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف للحافظ ابن رجب الحنبلي تحقيق خالد محمد بن عثمان الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ – مكتبة الصفا.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين الهيثمي بتحقيق الحافظين ابن حجر والعراقي.
- الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى المالكي الشاطبي المتوفى ٧٩٠هـ دار المعرفة – بيروت لبنان.
- كيفية النصيحة – للأمين الحاج محمد – مخطوط.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٢
الفصل الأول أبرز صفات علماء السوء.....	٤
الأولى: كتمان العلم والحق	٤
أسباب كتمان العلم ودوافعه.....	٦
العلم الذي يحرم كتمانها ويجب نشره وبثه	٧
لا ينثر الدر على الخنازير، ولا يجاب على كل سؤال	٨
الثانية: حب الدنيا والتعلق بها	١٠
الحسنة بين سيئتين	١٥
الثالثة: اتباع الهوى	١٦
المعنى بقوله تعالى: "وَإِثْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ"	١٧
الرابعة: الحرص على مداخلة الحكام والقرب منهم.....	١٩
"شر الأمرأء أبعدهم من العلماء؛ وشر العلماء أقربهم من الأمرأء"	١٩
النهي والتحذير من الدخول على الحكام	٢٠
خسائر دينية محققة، ومصالح دنيوية فانية مشتركة بين العلماء والمدخول عليهم من الحكام	٢٨
نماذج لبعض الخسائر الدينية الفادحة الناتجة من دخول بعض العلماء على الحكام	٢٩
الخامسة: مناققة المجتمع.....	٣١
السادسة: يبيعون آخرتهم بدنياهم، وفي أحيان كثيرة بدنيا غيرهم	٣٢
السابعة: البحث والتفتيش عن الزلات والهفوات	٣٤

٣٥	موقف المسلم من هذه الزلازل والسقطات.....
٣٦	من تتبع رخص العلماء وزلاتهم تزندق، أو كاد، وتجمع فيه الشر كله.....
٤٠	الثامنة: الفتوى بالتشهي.....
٤١	ليس للمقلد أن يتخير من أقوال المجتهدين بالتشهي بل بالترجيح.....
٤٢	نماذج للحكم بالتشهي.....
٤٤	٣. ثلاثة الأثافي: قصة محمد بن يحيى بن لبابة.....
٤٨	التاسعة: التحاسد، والتباغض، وعدم الإنصاف.....
٥٢	العاشرة: مخالفة عملهم قولهم.....
٥٤	الحادية عشرة: التقلب والروغان.....
٥٧	نماذج من ثبات العلماء على المبادئ والمواقف، وعدم تراجعهم وإن أدى ذلك إلى القتل.....
٦١	الثانية عشرة: الإعجاب بالرأي، والاستتكاف والاستكبار عن قبول النصح.....
٦٣	الفصل الثاني خطر وضرر علماء السوء على الدين والدنيا.....
٦٣	الأولى: إهانة العلم وإذلاله، وإذلال أهله.....
٦٥	الثانية: فساد الدين وتبديله.....
٦٧	الثالثة: زعزعة ثقة العامة في العلماء.....
٦٩	الرابعة: توليد اليأس والقنوط من الإصلاح والرجوع إلى الحق.....
٧١	الخامسة: التشتت، والتشردم، وتوسيع دائرة الخلاف.....
٧٣	السادسة: تعدد المصادر، واختلاف المناهج.....
٧٦	خاتمة.....
٧٨	المراجع.....
٨١	الفهرس.....